قراءة جديدة

في

شعر الحلاج وفلسفته

وشعر الغناء اليمني التراثي

قراءة جديدة

في

شعر الحلاج وفلسفته

وشعر الغناء اليمني التراثي

د. عبد الكريم الشويطر

الطبعة الأولى

2020م

دار كفاءة المعرفة

طباعة • نشر • توزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2020/7/2471)

811.9

الشويطر ، عبد الكريم عبدالله

قراءة جديدة في شعر الحلاج وفلسفته وشعر الغناء اليمني التراثي/ عبد الكريم عبدالله الشويطر.- عمان، دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع ، 2020.

( ) ص

ر.إ: 2020/7/2471

الواصفات: // الشعر العربي// التراث الشعبي// اليمن// النقد الأدبي// الأدب العربي

978-9923-39-005 -4

لوحه الغلاف للفنان المبدع درويش صوفي

Copyright ©

محفوظة جميع الحقوق

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

دار كفاءة المعرفة
طباعة • نشر • توزيع

kafaat.almaerifa kafaat.almaerifa@gmail.com
+962796803670 +962799291702 +962796914632

الإهـــــداء

إلى روح الحسين بن منصور الهائمة

وإلى أرواح عمالقة الشعر الغنائي اليمني

وإلى أرواح المطربين الراحلين الذين تناقلوا

جزاً كبيرا من هذا التراث الغنائي وحفظوه لنا حتى اليوم

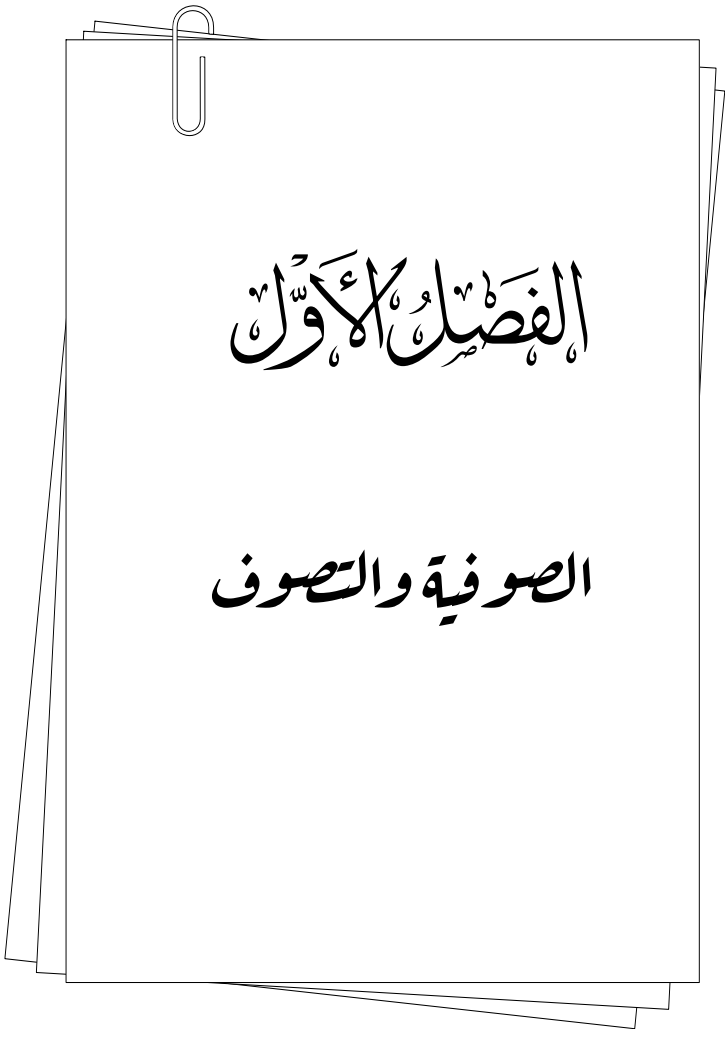

الفصل الأول

الصوفية والتصوف

أولاً: مقـــدمة

لا يزال الإنسان، ومنذ فجر الخليقة، يبحثُ عن دليلٍ محسوس يرشده إلى الخالق، جلَّ وعلا، الذي لا يزال يثور في أعماقه شعورٌ قوي غريزي بوجوده، وذلك من استقرائه للكون المحيط، وما حوله من كائنات، وإبداع صنعها وتكوينها، والنظرفي قصور بعض خصائصها التي تتطلب التسليم بوجود الكمال، ومن ثَمَّ وجود صانعٍ حكيمٍ مُنَزَّهٍ عن النقائص والعيوب، يدير دفة هذا الكون المترامي، والبالغ الدقه في التقدير والنظام، ويتحكم في كل هذه القوى والظواهر الغيبية الكبرى في الكون، كالزلازل، والبراكين والأمطار وجميع الكوارث التي لا يستطيع الإنسان مدافعتها ولا التحكم فيها، لا بمفرده، ولا بجماعته.

لهذا بدأ الإنسان يفكر كيف يتقرب، وكيف يعبد هذا الإله العظيم، فعمد إلى الرموز والأوثان والأصنام تقربه إليه وتلزمه بطقوس دينية، تعبر عن التزامها المستمر تجاه هذا الخالق.

ولما جآءت الأديان السماوية، ومنها ما نزل على قومٍ من الأقوام، محدودين بجغرافية المكان وبزمن محدد، فقد جاءت تدعو إلى توحيد الخالق، وتقديس الإله الذي في السموات العلى، وكذلك جاء الإسلام-الدين الخاتم- ليؤكد صحة تلك الرسالات، ويكون مهيمنًا عليها، لاعتبار ما حدث لها من تحريف وإبدال، كما يُلزم بضرورة الإيمان به، والتسليم، والتصديق الكامل.

وقد دخل الناس في دين الله أفواجا، خلال ذلك كله، وإن بدرجات

متفاوتة من الإيمان، وما ذلك إلا لأمرٍ شخصي، يعود من ناحية إلى فطرة الإنسان التي خلق بها، ومن ناحيةٍ أخرى إلى الثقافة والقدرة العقلية التي تختلف من شخص لآخر، ومن زمن لآخر أيضًا.

ونظرًا إلى أن كل إيمان لابد وأن يحمل في جانب منه، جزءًا غيبيًا، وإلا لما سُمي بذلك إيمانًا، فمن هنا قد تخفُّ أوترتفع درجة حرارة الإيمان من حينٍ لآخر ومن ظروف إلى أخرى، والرجوع إلى الله وقت الشدائد والمحن وزيادة الإقبال على الصلاة والدعاء والاستغفار، يؤكد ذلك في كل الأحوال.

بصفة موازية كان هناك فكر بشري يقوم على الفلسفة، والبحث عن دلائل منطقية ومادية تؤكد علاقة الخلق بالخالق، وربما قد تبني لنفسها قناعات خاصة، يلتف حولها عدد من المهتمين.

كثيرٌ من هذه المدراس تنهل من بعضها بعضًا وتتأثر الى حدٍّ ما بما سبقها، ومقتربةٌ حينًا من هذا الجزء الغيبي، وحينًا مبتعدةٌ عنه، ومن ذلك الفكر الصوفي الذي وجد له، بعد الإسلام، منفذًا في الأصول الفلسفية القديمة يبني عليها أفكاره التي تؤيد صحة معتقده، وتقربه إلى الله منزلة ودرجة.

من هنا انبثقت المدارس (العرفانية) التي ارتكزت عليها الأفكار الصوفية الإسلامية دون شك، أوعلى الأقل في أول العصرالإسلامي الذي شهد تراجعًا عن مقاصده، لصالح المقاصد السياسية، بعد عصر الخلفاء الراشدين.

امتد العرفان في جذوره إلى الفلسفات الشرقية في فارس والهند وإلى الفكر الفيثاغورثي والمثالية الأفلاطونية التي ظلت إلى قبيل الإسلام، تشكل أساس الفكر الغنوصي المقترن بأساطير الأولين والفكر الما نوي والزرادشتي

والديانات الهندية القديمة بالذات، حاكته في ذلك بعض روافد الفكر الباطني والشيعي، الذي رحل خلف حدود المجاز اللغوي إلى التأويل، وماتبع ذلك من اختلافات مذهبية كانت في جوهرها صراعاتٍ على السلطة والمال والنفوذ، التي أشعلت الحروب والفتن وجرَّت وراءها التنكيل والدمار، وانتقل الإسلام الروحي من جوهره، إلى الإسلام السياسي الذي يراه كلٌ بمنظاره الخاص.

على ضوء ما تقدم ندرك كيف تبلور الفكر الصوفي في منتصف القرن الثاني الهجري، الذي يرجح أن أول من نسب اليه هذا الاسم هو أبو هاشم الكوفي المتوفى عام ١٥٠هـ.

الحديث عن التصوف والافتراق الصوفي ابتداءً من هذه المرحلة الهامة الخارجة أو الداخلة في محنة الفتنة الكبرى، يشير إلى أهمية ظهور جماعة أو طائفة تقرر الهروب بدينها بعيدًا عن سفك الدماء وظواهر التكفير المتعددة الأشكال والوجوه، تريدُ من جهة إرساء المزيد من القناعة بوجود هذا التلابس ومن جهة أخرى، وبعد التداخل مع الثقافات الأخرى، بعد الفتح الإسلامي الكبير، تحاول العمل على إظهار الحقيقة الجوهرية للوجود والخلق وعلاقة الخلق بالخالق على ضوء ما جاء به الكتاب والسنة، والدفاع عنه أمام المتكلمين والمتفلسفين الأجانب.

ومن دون التهافت على الصوفية التي سرعان ما دخل عليها من الدجل والشعوذة والابتزاز لعواطف الضعفاء والمساكين وبناء النفوذ والحظوة على أكتافهم، وبغض النظر عن التأييد والمعارضة هناك نقاط تتعلق بالصوفية التي

ظهرت في الشرق العربي على إثر تنوير الإسلام للفكر والعودة إلى التأمل والتفكير، وعلى إثر اصطدام الفكر العربي الذي لم يكن يحمل مسمى مثل هذا، وما رافق تلك الحركات من ظروف هيأته وساعدت على نشره، نخرج بالخلاصات التالية:

١- دين الإسلام أتى رحمة للعالمين، وخاتم للرسالات السماوية جمعاء، وبلسان عربي مبين ما أدى كما أسلفنا إلى ردود أفعال كانت في معظمها صامتة، تسري وتتسرب إلى بعض العقول من دون أن يشعر بها الزخم الإسلامي، هذا الزخم الواسع وَلَّد في بعض النفوس القصيرة النظر أو القليلة التفقه شيئًا من الغرور والعصبية والتعالي وبروز الأنا العربية، والانكفاء على مجرد الدعوة إلى الإسلام باعتباره دار دعوة، وعلى مجابهة الآخرين على أنها ديار الشرك والكفر والضلال، فهي مسخّرة وملزمة باتباعنا على منهج الصراط المستقيم.

هذا في الحقيقة هو أول انحراف في التفكير، وعدم إدراك للمقاصد الفعلية للدين الذي يقوم على نبذ العصبية وحتى القومية والانخراط في مجتمع عالمي إسلامي أساسه العمل وتعمير الأرض وإفشاء روح السلام والمحبة في كافة المعمورة.

هناك من تنبّه لهذا من العلماء الكبار وقام بدراسة الثقافات الأخرى ومنها الفلسفة اليونانية والشرقية وعلوم المنطق للدفاع عن العقيدة بمنطق العصر كالمعتزلة، والصوفية العلماء، الذين سرعان ما تميزوا إلى مدارس منفصلة وربما

غذّى هذا الصراع بينهم وبين غيرهم من المدارس الأخرى، الحكـام، والسياسة القائمة كي يسهل حكـم الجميع.

سبب هام من أسباب هذا الانحراف هو ظهور المذهبية والطائفية، التي ما كانت لتنتشر كالوباء في جسد الدولة الإسلامية لو انتبه الفقهاء ورجال الدولة منـذ البداية إلى ضرورة فصل فقه العبادات، عن فقه المعاملات، فالعبادات معروفـة ومؤصّلة لدى جميع الفرق، ولاغبار عليها، لكن المعاملات، وقوانين الحياة المتجددة تتغير باستمرار، وتحتاج إلى الاجتهاد في كل زمان ومكان، بما يتلاءم ومقاصد الدين وجوهره، وهذه الاختلافات هي ما أدى إلى انعزال الجماعات، وافتراق آرائها واجتهاداتها والرغبة السلبية في الثراء والاستقلال السياسى، الذي في مجمله وفي نتائجه، أصبح صراعًا دنيويًّا محضًا.

لكنه وللإنصاف فقد ظهرت آن ذاك من تنبه لهذا كله، وهم جماعة كانوا يسمون أصحاب الرأي، ولكن النمط السياسي التسلطي كان قد استفحل، فأذكى الصراع بين أصحاب الرأي والحديث، وتمّ حسم الجدل لصالح أهل الحديث.

المعتزلة التزموا عصبية اللغة والفكر وقوانين العقل، والصوفية انتحوا منحىً آخر والتزموا بعصبية الروح والتسامح مع أصحاب الملل والنحل الأخـرى.

٢- وجد المنصفون من المعتزلة ضالتهم في الفلسفة، كما أسلفنا، بينما وجـد

الصوفية ضالتهم في الفكر الغنوصوي الروحي والذي قام على إثر التنكيل بهـم وإلصاق التهم بهم بالشعوذة والدجل والسحر والزندقة.

٣- من بعد أبي هاشم الكوفي توالى الزهاد والنساك، وظهـر بعض أصحاب الكرامات أو من نسبت إليهم تلك الكرامات مثل: إبراهيم بن أدهم، ورابعـة العدوية، ثم برزت بعد ذلك فكرة الحلول والاتحاد والفناء الذي تكـلم به محمد بن عيسى٢٧٩هـ، والبسطامي ٢٠٦هـ وغيرهم، إلى الفتـرة الحـلاجية التي كانت أكثر حذرًا، وأقـل غـلوًّا، والتي ارتكزت على تكريم الـذات الإنسانية فـي زمـن انهارت فيه قيمة الإنسان، وكثرت الفتن والثورات، كثورة الزنـج، والقـرامطة، وتشعبت الإيديولوجيا الإسلامية أيما تشعب، لم تُجْدِ فيه عقول ومواهب وثقافات موسوعية، كتلك التي كان عليها الحلاج، وابن عربي، وآخرين من بعده، لم تُجْدِ أمامها بُنية علمية بحثية تبني عليها قدراتها، أو بوادر مشروع حضاري إسلامي يحفظ للأمة كيانها ويقيها من تداعي الأمم على فكرة الخـلافة الكبيرة التي احتلت قـلب العالم القـديم بكامله تقريبًا، والتي نظر إليها العالم كامبراطورية توسعية، لم تُجْدِ مثل هذه العقول المبدعة أمامها غير حكـام ليسوا على مستـوى الأحداث والمسئولية، كما لم يجدوا أمامهم من المجالات البحثية إلا مجال الفقه والإجتهـاد فيه، والذي لا يستطيع الخروج عن إرادة أُولي الأمر أو التعرض للسلطة بأفكار ليست في صميم مصالحهـا، وحتى

موضوعات الفقه الإسلامي لم تتعد مضمونها النظري، وليس التطبيقي، ولم تَجد مجالاً للتعامل مع الواقع المعاش حيث لم تتعد فقه العقيدة، والعبادات وفقه الطهارة والنجاسة، وفقه الأحكام الشرعية والعقوبات والمواريث.

ولم نسمع منذ ذلك العهد عن فقه البحث العلمي، والسير في الأرض والتنقيب أو فقه المياه والزراعة، وفقه البناء والتنمية وهي أساسيات لاتقوم الحياة إلا بها، ولا حتى فقه إعداد العُدّة والقوة الحربية والصناعات والتكنو لوجيا بالتسمية المعاصرة وغير ذلك من عوامل نهوض الأمة، وقد كانت أمامها وإلى الآن فرصة من أعظم الفرص، وهي موسم الحج الأكبر، الذي يأتي إليه الناس من كل دول العالم، بما فيهم الحرفيين، والصناع، والعلماء في كل مجال.

وكل ذلك قد نصَّ عليه القرآن الكريم وحثّ عليه.

لهذا كله حصل هذا الهروب الكبير لهذه العقول إلى عالم الروحانيات والتكلم فيها والحديث عن مصير الإنسان المجهول والبحث عن منافذ للخلاص.

فكثرت الفلسفات والرؤى الميتافيزيقية، ودخل الشطط والشطح وأخيرًا الدجل والشعوذة إلى هذا الفكر الإسلامي الحصين، وانكمش الخطاب الديني، بمجمله إلى موضوع الوعظ والتذكير بسوء المصير في الآخرة، وطغت علوم الحديث على علوم القرآن وأصبحت كلمة الدين لا تعني سوى فروض العبادة،

ومصطلح العِلم والعـالِم، ما المراد به إلا عـلوم الدين وعلمائه، أما كلمة مفكر أو باحث فلم يكن لها تقريبًا وجود في ذلك العصر.

٤- تتابعت بعد ذلك نظريات مستحدثة، ومصطلحات فلسفية، وصوفية، مثل واجب الوجود والحلول والاتحاد، وعين الوجود، ووحدة الوجود، (التي هي ربما كانت البذرة الأولى لنظـرية البحث والاستقراء العلمي التي أتت بعد ذلك)، أما إحياء علوم الدين على يد أبي حامد الغزالي٥٥٠هـ، هذا الذي عاصر سقوط بيت المقدس عام٤٩٢هـ، والذي أسس منهج الشك مدخلاً إلى اليقين فهذا هو ما أخذ به ديكارت من بعده بقرون وتبناه.

٥- فترة محي الدين بن عربي٦٣٠هـ وابن الفارض ٦٣٢ هـ، وهمـا اللذان عمّقا فكرة وحدة الوجود وفكرة التصـالح مع الأديان الأخرى، والتي جاءت في خضم تلك الصراعات المذهبية الوحشية من العناصر المتطرفة، في كلا الطـرفين، والتي تمتد إلى عصرنا هذا، لتخرج الإنسان عن إنسانيته، ولا تؤدي إلى نتائج تؤدي إلى انتصار الحق والخير والعدل والمساواة، والسلام، الذي ينشده البشـر جميعًا، وتدعـو إليه جميع الأديان السماوية، والذي هو جوهر رسالة الإسلام.

لا أظن أن تلك الافكار الخطيرة والعديدة التي اجتهد فيها ابن عـربي برأيـه، إلا أنها ارتكزت على أساس استقرائي رياضي للوجود بعين الفاحـص المتأمل، والذي كما أسلفنا، لأنه لم يجد بُنية علمية حقيقية أمامه يقف عليها، إلى أن يصـل

إلى ما وصل إليه من أفكار تتعلق بالمنامات والرؤى، جعلت المتلقين ينقسمون إلى قسمين، منهم: من يعتبره قطبًا من الأقطاب أو قطب الأقطا ب، ومنهم من يكفره ويخرجه من ربقة الإسلام، مثل ما حصل لمن جاؤوا من بعده، أو من كانوا قبله كالحلاج، وعبد القادر الجيلاني، وجلال الدين الرومي ومعاصريهم، والذين جآؤا من بعد.

٦- أما فكرة نقد مثل هؤلاء الذين تميزوا وأحدثوا دويًّا في تاريخ العصور الإسلامية، بما أسسوه من حلقات وحوزات، وأتباع، ومريدين، فقد كان نقدهم وتكفيرهم، واتهامهم بالزندقة والنفاق، على أساس ما تركوهُ لنا من أشعار، وغنائيات وغزل صوفي لاقى قبولاً عند بعض طوائف المجتمع، فهذا لعمري، إجحاف كبير في حقهم، وتأويلٌ لأشعارٍ(مجرد أشعار)، يختلف في فهمها وتذوقها الناس أيما اختلاف، كما هي حال الشعر عمومًا، والذي لم يأت إلا لعجز اللغة أحيانًا عن أن تفصح عن مكنونات الإنسان ولواعجه والارتكاز على ما يحسه بأعماقه وبداخله من توق إلى الحرية والانعتاق.

خصوصاً وهي تُقدَّم له على هيئة نصوص وقوالب وموشحات تساعده على التذكر والاستحضارعند الحاجة.

ولعل معظمها إنما يمجد تلك القيم العظيمة التي يقدحها الإسلام في النفس البشرية وتدعوه وتحثهُ على الحق والخير والجمال والتأمل والتدبر في

خلق الكون، والتأمل حتى في نفسه وما تحويه من أسرار تدل على عظمةِ الخالقِ وبديعِ صنعه.

هذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى، ولما لم يجد مثل هذا الفكر متنفسًا، وقوبل بالطعن، والرفض، والإقصاء، مما أدى ذلك إلى الانزواء والهروب إلى الداخل، والانكفاء على الذات والبحث عن الحقيقة في الماورائيات، والتعبيرعن فداحة ذلك بالاحتجاج بالصوم والصمت، واللجوء للرمز، وجلد الذات وتعذيب الجسد، إلى درجة اشتهاء وتفضيل الموت على مثل هذه الحياة البغيضة المتناقضة، نظرية وتطبيقًا، والدخول في فصام ثقافي، عقلي بدرجات متفاوته، وهذا هو كنه ماجسدته مأساة الحلاج الكبرى.

٧- إنّ أول وأعمق من مثّل هذه الفوضى الحياتية، هو الحسين بن منصور الحلاج بما حُفظ لنا من نُتف من أقواله وأشعاره وسلوكه، الذي يمثل أقصى حدود رد الفعل، والذي أحب أن يلقن هؤلاء القاسية قلوبهم عن ذكر الله ما لم يتعلموه من القرآن الكريم، وأخلاق المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

٨- الحديث عن ما تلى ذلك من تصوف، خصوصًا من فترة ما بعد القرن الثامن الهجري في عصر الانحطاط الفعلي وفي عصور الاستعما ر الصليبي المعروفة، لا يستحق التوقف عنده، لأنه في معظمه نتج عن شعور بالاستلاب وعجز عن المجابهة، وتمرد على الواقع نفسه وعلى الدين نفسه، مرتكزًا على الدجل والشعوذة والاستخفاف بمشاعر

البسطاء والضعفاء من الناس، خصوصًا في تلك الدول المواجهة مع الاستعمار -الذي ساعد على نشره، وربما دعمه بشتى الوسائل، إلا أنه لا يجوز التعميم هنا، فهناك حالات مفردة لعلماء ومتصوفة وأعلام كبار تصدت للاستعمار والاستبداد وعبأت الجماهير للمقاومة، وحاربت وانتصرت، في الشام وفي مصر وفي المغرب العربي، والسودان، واليمن وغيرها.

على سبيل المثال، لا الحصر، عزالدين بن عبد السلام، محمد عبده، الأفغاني، جماعة التنوير والإصلاح، عمر المختار، الكواكبي، المهدي في السودان وفي اليمن أحمد بن علوان.

وبمناسبة ذكر ابن علوان فللحقيقة أن الدجل الصوفي والشعوذة في اليمن عمومًا فإنها تكاد أن لا تذكر، أما المدرسة الصوفية الحضرمية بالذات، فقد كان لها دور تاريخي كبير في نشر الدعوة، ودور إيجابي كبير في التعليم، لا يزال إلى اليوم، ولم نشهد لها خروجًا كبيرًا عن التصوف المعتدل.

٩-أما فيما يتعلق ببعض الجذور الفلسفية للصوفية الحديثة، والتي قد تكون لها علاقة بالفلسفة الثنوية القديمة التي سنتعرض لها أثناء الحديث عن فلسفة الحلاج فإنه في الحالة الصوفية الراهنة، عند المدارس المتأخرة، كما في مصر والسودان والمغرب العربي، والتي هي إلى حد ما بعيدة عن الدجل والشعوذة الصريحة، فهناك تركيز على الشق الإيجابي من هذه الثنائيات

والأضداد الطبيعية المحسوسة والمعروفة للجميع، ونقصد هنا المعنويات بصورة خاصة.

فمثلاً غريزة حب الاجتماع والفرح الجماعي عند البشر، فالصوفيون يفضلون أن يكون ذلك بشكل حلقات ذكر ومهرجان روحي كرنفالي، بدلاً من التسكع وقضاء الوقت في اللهو أو المقاهي، لتحقيق ميول الإنسان الفطري إلى الشعر وإلى الطرب فهم ينشدونه في الأذكار والأوراد والمدائح النبوية، المصحوبة بحركات جسدية متنوعة- بحسب الطريقة- والتي تعود على الإنسان بالنفع بدلاً عن المجون، وشعر الغزل الحسي، اللوعة والتشبيب والاشتياق وخلافه.

كل هذا على حد قولهم للتخلص من الكثافة الجسدية الغليظة، والارتقاء إلى السمو واللطافة الروحية الشفافة والتي تخلص الإنسان من الإنطواء والاكتئاب الذي هو أحد سمات العصر، ولعلهم يجدون في ذلك متعة حقيقية.

١٥/ ٥/ ٢٠٠٩م صنعاء

ثانيًا: إشكالية اللغة الصوفية:

إن هذه الجدلية الضدية هي بالفعل كل ما نشهده حولنا في الوجود، وهي المرتكز الذي بنى عليها الصوفيون أفكارهم، سواءً أقوالهم المشهورة عنهم أو أشعارهم التي نشتمُّ فيما بين سطورها التعبير الصادق عن تلك الأفكار.

ولا يهمنا في الحقيقة مصدرها، فهي تمثل خلاصة تجربتهم ورؤيتهم الشخصية، هل تأثرت بالفلسفات والديانات الشرقية كالمانوية والزرادشتية والهندية، وغيرها، فلا يهمنا ذلك، بل مايعنينا هو هذه الحصيلة التي بين أيدينا من شعر ونثر نجدها تشكل تكوينًا خلاقًّا واحدًا يتناغم مع شخصياتهم وحياتهم، بل وحتى مع مآسيهم ومعاناتهم ونهاياتهم.

لعل بعضهم قد ذكر أن الحلاج يمثل مرحلة من مراحل أزمة اللغة عند الصوفية، ونحن نرى عكس ذلك تماما، فالحلاج قد قدم حياته ثمنًا لإقرار قاموس صوفي خاص أخذ به كل من أتى بعده، رغم أن هؤلاء المتأخرين كانت لغتهم أكثر وعورةً، وهم يجاهدون لترقيق العبارة وتلطيفها وترميزها الرمز المناسب والذي يحتمل عدة وجوه، ويكاد يبتعد عن الألفاظ القوية والشديدة الوقع من حيث المعنى، ومن حيث الجرس، وكذلك التقريرية والتصريحية والإنشائية، كما فعل هو.

ولعله من الإنصاف أن نذكر أن الحلاج بأقواله وأشعاره إنما أتى ليفجِّر اللغة الصوفية، كما قال بعض المنصفين، ويخفف من وعورتها ويكثفها في

قوالب بسيطة ظاهريًّا وعميقة باطنيًّا.

يقول أبو يزيد البسطامي وهو قبل الحلاج:

(أشرفتُ على ميدان اللّيسية، فما زلت أطيرفيه عشر سنين، حتى صرتُ من ليس في ليس، بليس، ثم أشرفت على التضييع، حتى ضعت في الضياع ضياعا، وضعتُ، فضعتُ عن التضييع، بليس، في ليسَ، في ضياعة التضييع، ثم أشرفت على التوحيد، في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق).

ويقول الحلاج قبيل قتله:

نحن بشواهدك نلوذ، وبسنا عزتك نستضيئ، لتبدي لنا ما شئت من شأنك، وأنت الذي في (السماء إله وفي الأرض إله)، تجلى كما شئت، مثل تجليك في أحسن صورة، والصورة هي الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة والبرهان، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصبًا لدينك، وتقربًّا إليك، فاغفرلهم! فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي، لما فعلوا، ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم، لما لقيت ما لقيت، فلك التقدير فيما تفعل ولك التقدير فيما تشاء.

ثم أنشد بعدها قصيدة (النعوة) التي ستأتي في النصوص.

وهنا تجدر ملاحظة الفرق بين الأسلوبين، أو الصيغتين عند البسطامي والحلاج.

ولعل هذا من صميم ما نحاول إثباته في هذه الدراسة المبسطة.

وللمزيد من الأمثلة على خصوصية، وإشكالية اللغة الصوفية، وتعمِيَتِها المفعمة بالبلاغة والإيجاز، وقابلية التأويل الباطني، وصياغتها المقصودة، لتكون حمّالة أوجه، والتي أحيانًا لا يفهمها إلا النخبة منهم، نجدها في الفصل الآتي أثناء الحديث عن فكر الحلاج وفلسفته.

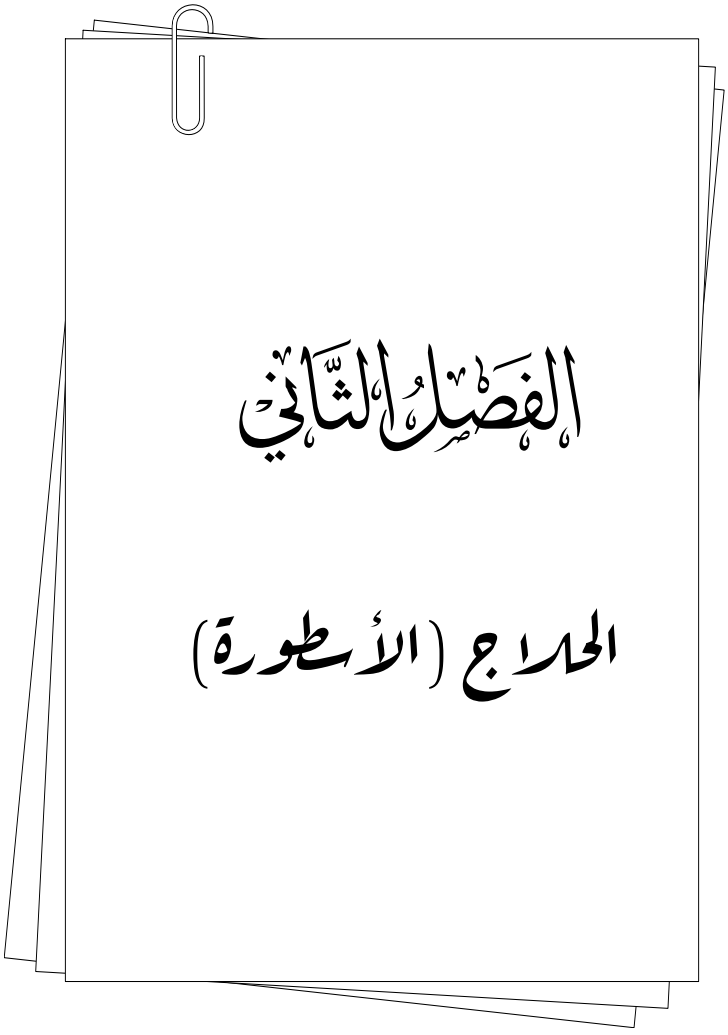

الفصل الثاني

الحلاج (الأسطورة)

الحلاج في سطور

نشأته:

ولد الحلاج في بلدة(الطور) عام ٢٤٤هـ بخراسان بإقليم فارس، ورحل مع والده إلى مدينة(واسط)، وقد كان أبوه حلاجًا، وقد عمل هو بهذه المهنة وقتًا حتى رحل إلى العراق، وترجع بعض النصوص أصله إلى فارس، وتقول أن جده مجوسي وكان إسمه محمي، ويلاحظ هنا التشابه أو التحريف بين إسم محمد ومحمي.

بينما ماسينون، الأكثر اهتمامًا به، والذي زار نفس المناطق التي كان يعيش بها، يقول إنه من أصل عربي، وأن جده كان يسمى محمد ولقبه (أبو مغيث)، دخل واسط وهو في الثامنة من عمره، وهناك دخل المدرسة وقرأ القرآن وأصبح من الحفاظ المرموقين، وعُرف بين أقرانه بالإرادة القوية والمجاهدة الشاقة ولفت أنظارأساتذته بما كان يتمتع به من ذكاء، وفطنة خارقة، وقلب متفتح، وعقل منير ومتوثب، ثم قدم إلى بغداد وبها أقام، وصاحب أبا القاسم الجنيد (شيخ الطريقة) والذي ومع مرور الأيام اختلف معه وباعدت بينهما الأحداث والآراء. وكان قد تزوج في البصرة، من أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع البصري، التي ظلت زوجته الوحيدة طوال العمر وأنجب منها ثلاثة أبناء، وابنة، وعانى من الخلافات الأسرية الكثير، لكنه تصبّرعليها، قبل أن ينتقل إلى بغداد ويستقربها.

الظروف التي نشأ فيها:

لم تكن تلك الظروف التي نشأ فيها الحلاج عادية على الإطلاق، وهي نفس الظروف التي خرج منها معاصروه، أو من سبقوه مثل الشبلي وإبراهيم أدهم ورابعة العدوية وغيرهم، والتي تميزت بالصراعات المذهبية والعشائرية والفساد في النظام والانغماس في الترف، والمجون، والرشاوى، والظلم، والاستبداد، والتي جآءت عقب ثورتين أو انتفاضتين، هما ثورة الزنج، وثورة القرامطة.

لّما شعر بما يحاك ضده من بعض الشيوخ والفقهاء المتزمتين قرر الذهاب إلى مكة وأقام بها عامًا كاملًا يتأمل ويجاهد النفس ويعذبها أملًا في الوصول إلى الحقيقة، التي ما فتِئَ بحثًا عنها من نعومة أظفاره.

عاد إلى الأهواز واختلط بالجماهير، وبدأ يدعو الناس إلى ضرورة إقامة وحدة إسلامية قوية، مما أثار حفيظة أعدائه وخصومه أكثر فأكثر.

لما رجع إلى بغداد أُستقبلَ استقبالًا جماهيريًّا كبيرًا وأصبح له أتباع ومريدون مما شَكَّلَ شخصيته ومواقفه التي تفاقمت، فتوالت التُّهم والفريات عليه إلى حد اضطراره للهرب والاختفاء والهجرة، وذلك بعد ما بلغ من شأوٍ عظيم في التصوف، وما وصله من منزلة روحية عالية، جعلت معظم أعدائه هم من الصوفيين أنفسهم، لأنهُ صار يُعرَف بين العامة (بصاحب الكرامات).

أما ما جاء على لسانه، فهوأن احتجابه إنما كان خشيته من أن يفتتن الناس

به، وهذا خبرٌ يبدو أنه ملفق، ولعل الحقيقة هي جهره ودعوته لإحقاق الحق على كل المستويات الدينية، والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

والدليل على ذلك أن رحلته للحج لثاني مرة، كان يصحبه نحو أربعمائة من تلا ميذه.

أما رحيله وهجرته شرقًا، فلعل الدافع الأقوى هوالاطلاع على المزيد من العلوم والمعارف، بعد أن شعر أنه استوعب كل ماهو متاح في بغداد من ثقافة.

لقد آثر أن يظل بعيدًا عن بغداد حتى تصفو الأمور، ليقوم برحلةٍ واسعةٍ شملت بلاد الهند والتركستان وكشمير حتى (طرفان) في الأطراف الغربية للصين.

وهي لم تكن-كما أسلفنا- رحلات عادية، بل هي اتصالٌ واسعٌ بالإنسانية كلها، واكتسابُ ثقافاتٍ جديدةً ومهارات، قوّت من شهرته وعظم تأثيره في الناس، ومصداقيته في الجهاد إلى تحقيق روح الإسلام، والدليل القوي أنه عندما أقام في الهند لقبه أهلها (بالمغيث) وأهل تركستان (بالمُقيت) وأهل خراسان (با لمُمَيَّز)، وأهل فارس (بأبي عبدالله الزاهد)، وفي خوزستان (بحلاج الأسرار)، وعلى نفس المنوال، فقد سبق ولقبه أهل البصرة (بالمجيب)، وأهل بغداد (بالمصطلِم)، لاصطلامه بنار الشوق والحب، كاصطلام الفراشة بنارالسراج.

و إزاء هذا كله فقد توافرت له عدة امور: أهمها، ثبات العقل، والقدرة على التأمل الصافي، والوعي المدرك، فامتلك السيطرة التامة على الحسّ، والعقل،

والمنطق والذاكرة، كما يُفهم ذلك من بعض نصوصه التي بين أيدينا.

عاد إلى بغداد عام ٢٩٠هـ وعمره ٤٦ سنة يجول في الأسواق ويعظ الناس، ويهذي - ربما تُقيةً - وربما على قاعدة (إذا اتسع المعنى ضاقت العبارة) كما قول النفري، يهذي بما جاش في مكنوناته، وكان يخطب في الناس ويبكي، حتى يُبكي الجمهور المحتشد لبكائه، نساءً ورجالًا، وإن كان له تأثير في النساء أعمق.

رجلٌ بهذا الحجم والمقاس والقدرات الخارقة، كيف لا يزعزع عروش الظالمين والفاسدين، فيتربصون له في كل مكان ويكيلون له التُّهم التي لا تحصى وأخيرًا يحاكمونه تلك المحاكمة التاريخية التي دامت ٩ سنوات، على يد العشرات من الفقهاء الكبار وأخيرًا يقتلونه، ومن دون إدانة صحيحة، بتلك الطريقة التي يندى لها جبين الإنسانية، ومع ذلك، وفي نظري، فقد أسس الحلاج أول ثورة اجتماعية في تاريخنا المعروف سلمية الوسائل، نقية الأهداف.

يقول الشاعر(انغمار ليكيوس)، العاشق الثاني للحلاج، ولد في١٩٢٨م في مدينة (كريستينيا ستاد) جنوب السويد، في ديوانه (المسلك الصاعد)، صدر عام ١٩٧٧م في رثائه، مع ملاحظة ما يفقد من دفقٍ شعري أثناء الترجمة:

- أيها الجدي الوحشيّ،
- فجرٌ في بغداد، وشمسٌ ملتهبة.

- هاهو حسين بن منصور الحلاج،
- يسمو في معراجه الليلي،
- انتهت المحاكمة،
- والحلاج يقدِّم خـارطةً لفوضى الحقائق،
- من بوابة سجنٍ، يخرج الـزاهدْ،
- ضاحكًا تحت وابل حجارة، راقصًا في أغلاله،
- غنيمـةٌ بلا عـدالة.
- انظر إلى ذلك الممتلئ بالله، وهو يعرضُ وُدًّا، في الأسواق.
- انظر كيف يشقُّ طريقهُ، وسط علماء متجادلين،
- وبين متفرجين متلهفين،
- وجلادين متحمسين.
- بينما يتصاعد الغبار.. رحمةً،
- يا سِـرَّ الأسـرار،
- أيه الحلاج، يا من ذهبت من مكة،
- إلى كشكر، من بهروج إلى القدس،
- ها أنت تقف أمام البعد الخامس،
- فالكعبة في أعماقك،
- سيطير قلبك مثل نيزك،

- حجرًا أبيضًا، وشرارة فردوس.
- ظلّ المؤذن النحيف يتهاوى عند ساحة المدينة.
- أوصالك تُقطّع إربًا، إربًا، وأنت تغسلها،
- في دمك، قبيل صلاة العصر،
- حين تغدو الشمس في سمْت السماء.
- سوف تكون أنت على الصليب،
- شجرة الإبادة، التي تمدُ فروعها مثل البرق،
- شجرة (اللوتس) التي لا يُنطق باسمها،
- وعلى الأرض يتمسك السياف بسيفه،
- فيسقط رأسك متدحرجًا،
- وتستقرُّ جبهته على الأرض.....الله أكبر،
- وتسودُّ الشمسُ.. ويقذف الظلام شرارة.
- وتعانق الحسين بن منصور، ألسنة لهبٍ لا اسم لها،
- وقد حوّل نفسه إلى هشيم.
- خطٌّ معطرْ.
- وفي حين يتبددُ الرمادُ من المئذنة،
- تصدح، صيحةٌ من الغيب،
- أحدٌ...أحدْ، أحدٌ... أحدْ.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فمآسي العظماء والمبدعين، ونهاياتهم المفجعة، عبر

عصورالتاريخ الهجري، على الأقل، لا تزال تتوالى إلى اليوم، وتُذكرنا بمأساة الحلاج، وكأن التاريخ يعيد نفسه في نفس المكان وبعد عدة قرون من الزمان.

بل وتزيد القناعة بأن محاكمة الحلاج كانت سياسية، كما تشير إلى حجم الضغائن التي تسيطر على تلك النفوس والعُقَد النفسية التي لا تزال تحكم تلك العقول الضعيفة التي تشعر بالذعر من كل فكرة جديدة أو موقف لم يمروا بمثله، والتي تخاف العظَمَة، كما قال المنفلوطي، رحمه الله، فتراهم سرعان ما ينقسمون إلى فريقين، فريق يرفعها إلى درجة التقديس، وفريق ينكرون ويكفِّرون، ويقتلون بلارحمة، للتخلص من كل معارضيهم، خصوصًا من يحاولون استنهاض الأمة أو إحداث نقلة جديدة في المجتمع أو يرغبون في تغيير بعض التقاليد البالية، والمحبطة والتي تعكس المِراء والنفاق الديني والسياسي، بل واعتبار مجرد الجلوس مع هؤلاء الدعاة أو الاستماع لهم إنتقاصًا، وإمتهانًا لهيبة السلطة ومصالح الأمة.

أمرٌ آخر فتلك الأحداث وهذه، إنما هي تعكس الطبيعة الاستبدادية التي تعشعش في ذهن الحاكم العربي، خصوصًا بعد تخلده في السلطة، وتجاوزه العشرين عامًا في الحكم، حيث تذوب شخصية الشعب في شخصيته، ويبدأ بالاعتقاد أنما هو هبة السماء، كما أورد ذلك ابن خلدون في مقدمته، وهوما يحدث في عصرنا هذا في معظم الأنظمة العربية، والذي يعتبر السبب الأوحد لتردي الأوضاع العربية، وارتماء الأنظمة في العمالة المذلة لقوى الهيمنة، لتضمن لها الاستمرار في الحكم واشباع نهمها الاستبدادي، الذي لايستطيع أي حاكم عربي مقاومته، والذي يبدو وكأنه غارس في الجينات العربية.

شخصيته وفكره:

هي شخصية العالِم، والفنان العبقري، المبدع، الذي يتميز بالشفافية والبساطة ودماثة الخلق، والوضوح، والقلق الدائم (القلق الفلسفي) أو (قلق الشجاع) دائب الحركة والنشاط، لايستنفد أي جزءمن وقته، إلا مفيد، أو مستفيد.

أما حِلمه وصبره وقوة تحمله فهي ما صارمثلًا يشار إليه بالبنان وما خُلِدَ ذِكره حتى يومنا هذا.

لقد كان الحلاج موسوعي الثقافة متعدد المواهب، صقل عقله ومواهبه بعناية فائقة، بعزمه ومجاهداته للنفس والهوى وما استفاده من رحلاته وتنقلاته بذهن المتلهف الشغوف لكل ما يراه ويسمعه، وكل ما مر به من تجارب وأحداث وتقلبات.

وعليه فالحلاج لم يكن مجرد شاعر أفضى بمكنوناته الإبداعية وحسب، بل كان ثائرًا عنيدًا وداعية للتمرد والعصيان المدني بطريقته الخاصة، المثيرة للجدل، يدل على ذلك تلك الثورات والانتفاضات التي دارت حوله وتأثرت بفكره الإصلاحي طوال فترة إقامته بين الجمهور، ومواعظه الملهبة للعواطف والحماس، التي كان ينشرها بين الفقراء والمستضعفين، والتي توجت بتلك الأحداث العنيفة أثناء سجنه، و أتاحت له فرصة ثمينة لتأليف أهم أعماله (الطواسين) وغيرها، وأخيرًا محاكمته العلنية الشهيرة، التي وضعت المالكية والفكر المعتزلي والشيعي على المحك، وكان فيها الفارس الذي لا يبارى، والتي أوصلت موقفه السياسي والفكري إلى الذروة عند الحكم غير المبرر

شرعيًّا، بصلبه وإعدامه وإحراقه، كما أراد هو ذلك، وتوقعه وخطط له، ليصل بالوعي الجماهيري إلى الذروة وقد نجح في ذلك أيما نجاح.

الخوارق أو الكرامات:

تتحدث الروايات العديدة المتواترة، والمنحولة عليه عن قدرات خارقة وحدس قوي ونبوءات تتحقق، والتي لاتنمُّ إلا عن عقل جامح، مشغولٍ بما يعنيه، دائب المراس والمران، الذي قد تنتج عنه خوارق العادات، وهذا مشهود في كل زمان ومكان، وحتى في عصرنا هذا، وبما يُعرضُ علينا في شاشات التلفزة مثلًا، أو تلك التي يكتسبها البعض كنتيجة للمجاهدات الجسدية والرياضات والتمارين التي تمارسها عقائد وديانات مختلفة، أو فنون جسدية قتالية متنوعة، ولعل منها ما صادف هوىً في نفس الحلاج أثناء رحلاته في تلك البلدان التي زارها، وأقام فيها في الهند وفي غيرها، والتي ربما أخذ منها بعض المهارت التي لم تكن معروفة في الشرق العربي، أقول ربما، ولا توجد لدينا أدلة على ذلك، كما أننا لا ننكر الكرامات التي توهب لبعض الصالحين.

عبَّر ما سينون، (المهتم الرائد في العصر الحديث) بتراث الحسين بن منصور عن ذلك بقوله: إن الإسلام بما أتى به من نصوص وأحكام قد فجّر فيمن حوله من عقول، طاقات هائلة، كعلي بن أبي طالب والحلاج، والجيلاني وغيرهم، لو كانت في بلدان أخرى لوضعتها موضع التقديس كالأنبياء والرسل على حد قوله.

هناك قصص عديدة تتحدث عن مهارته في قراءة الأفكار والرقص في

الهواء، وإحضار الأشياء من أماكنها البعيـدة، كإحضار طبق حلوى من زبيد في حفلة كانت تقام على شرفه، وقد جاءت الأخبار من صاحبة الحلوى بعد شهر تقـول إنها فقدت طبقًا من الحلوى قبل شهر، أو إحضار تفاحة كبيرة من الجنة، من وراء الستار لعلاج ابنة الخليفة، أوإحضار سمكة حية في قلب الصحراء إلى خيمة كانت مقامة هناك، ومن القصص التي أعجبتني وشعرت أنها تتناسب مع شخصيته، هي أنه ذات يوم بينما كان يتمشى في الشارع ويحدق في كلبٍ هزيل جائع قد أنهكه الجوع، وصلت إليه دعوة للعشاء من أحـد الأشـراف لتكريمه، لأنه تمكن من علاج ابنته، فلبّى الدعوة واصطحب معه ذلك الكـلب، وعندما وصل إلى المَضيف، طلب منه المُضيِّف أن يتمنى عليه ما يـريد من أطايب الطعام، فطلب الحلاج كبشًا حنيذًا محشوًا بالزبيـب والفستق والبهـار، فلما أحضروا له ذلك، أخـذه وقدّمه بكامله لذلك الكلب، وقعـد يتـأمل الكـلب ينهش منه حتى شبع، فقال حينها (هذا ما كنت أنوي فعله منذ زمن بعيد).

وقدكان الحلاج إذا سُئل عن حاله قال: (أقلهُ ما ترى).

وأما العلاج الروحاني وغيـرذلك من الوسائل، فتحفل بها كتب كثيرة كتبتْ عنه، وأفردت حيـّزًا واضحًا لذلك، ولم تشأ أن تقحـم نفسها بالحديث عن شخصيته وفكره، وحتى أعماله، لأسبابٍ لا نجهلها.

بعض هذه الكرامات والخوارق نُسبت إليه مع قـدر من المبالغة، خصوصًا

بعدما ذاع صيته بين الناس وأصبح ظاهرة.

فكر الحلاج وفلسفته :

الأقوال المشهورة عنه، قد تُفصِح قليلًا عن فلسفته، وتفاعله مع اللغة والواقع، ولعل عبارته الشهيرة: (ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلاّ بالدم) هي ما أوصلته إلى العالمية بمفهومنا الحاضر، والتي قالها أثناء تقطيع أوصاله، والتي كان قد استشهد بها العديد من المناضلين وقادة حركات التحرر دون ذكر الأسماء، في نضالاتهم المشهودة ضد الإستعمار، والإمبريالية والصهيونية، والتي أوصلتهم إلى المجد والشهرة وتغيير مجرى التاريخ.

أما عبارته: (أنا الحق)، و(ما في الجُبّة غير الله)، وما قيل عنه في معنى التوحيد وخلافه، فلا يوجد الدليل القاطع عليها، ولا التفسير المناسب لها، ولا المناسبة التي قيلت فيها، وقد قال الإمام القشيري عن ذلك إذا صحّ قولهُ (أنا الحق) فإن الحلاج لم يقل (أنا الله)، ولا تتحدث عن الرمزية، التي درج عليها غيره من المنقطعين للعبادة، ولا الموقف الذي كان فيه، هل في موقف جد أو مزاح أوشطح، قد يأتي على ألسنة العديد منا وغيرنا لايلقي له أحدٌ بالًا، إنما هو تصيد مثل هذه الأقوال والسقطات الكلاميه وتجييرها سياسيًا، حتى يتم إلصاق التهمة وتبرير الموقف.

وفي المحاكمة الشهيرة التي دامت ٩ سنوات تقريبًا على أيدي فقهاء بمنزلة آيات الله العظمى في هذه الأيام، وفي زمن كانت بغداد عاصمة العالم الثقافية، في محاكمة كهذه لا نستدل إلا على أن ترويضه كان مستحيلًا، وإلا لحملت لنا

المدونات، وسجلات المحكمة، ولو بعضًا منها، ومن العجيب أيضًا أنه لم يحضر هذه المحاكمة العلنية الشهيرة، على طولها، أحد من فقهاء الشافعية.

لعل المتتبع لمصدر ثقافة الحلاج يجد أنه قد تأثر بذلك الزخم الثقافي الكبير الذي ساد في العصر العباسي الأول، ودخول ثقافات الهند والسند وفارس، وظهورالمدارس الفكرية المتنوعة والآراء الفلسفية المتناقضة، منها ما كان له صلة بالفكر الغنوصي، وأفكار زرادشت والمزدكية والمانوية، التي تؤمن بوجود إلاهين، هما إله النور وإله الظلمة، وما تفرع منها في الفكر الثنوي.

وكذلك الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وخلاصته أن العقل والعاقل والمعقول يصبح شيئًا واحدًا في حالة انتقالها من كائن إلى آخر بحثًا عن الكمال حتى تستقر أخيرًا في المعقولات، وفي الحقيقة قد نجد صدى لذلك في أشعار الحلاج كما في قوله:

إتحد المعشوق بالعاشقِ وابتسم المموق بالوامق

واشترك الشكلان في حالة فامتحقا بالعالم الماحق

وقوله:

آهٍ أنا، أم أنت، هذين إلهينِ

حاشاي حاشاي من إثبات اثنينِ

لكننا لا نستطيع أن نثبت من خلال هذين النصين تورطه في عقائد أخرى، أو أنه كان زنديقًا، كما تردد هذا المصطلح في ذلك العصر.

وإيضاحًا لفلسفته، ورؤاه الصوفية، لا بد من الوقوف على أهم أعماله على سبيل الحصر وهي:

الطواسين وهو من أهم مؤلفاته ويشمل:

طاسين السراج، وطاسين الفهم، وطاسين الصفا، وطاسين الدائرة، وطاسين النقطة، وطاسين الأزل والاقتباس وطاسين المشيئة، وطاسين التوحيد، وطاسين الأسرار في التوحيد، وطاسين التنزيه.

كذلك من مؤلفاته بستان المعرفة ونصوص الولاية، والمرويات، والمقولات والروايات والأحاديث، إضافة إلى ديوان شعره، وكلها تحتاج إلى أكثر من مؤلف، ولكنا سنقتصر على الشعر، لما له من فائدة في تحقيق تراثنا الثقافي المتراكم، وعلى إيراد بعض من أقواله، حتى يمكن تكوين فكرة عامة عن فكر هذا السيد الغريب كما يسمونه أحيانًا.

من أقواله العامة، من مصنفه في التفسير:

في تأويل قوله تعالى: المص يقول الحسين ابن منصور الحلاج: "الألف ألف الأزل، واللام لام الأبد، والميم ما بينهما، والصاد اتصال من اتصل به، وانفصال من انفصل وفي الحقيقة لا اتصال ولا انفصال. وهذه ألفاظ تجري على حسب العبارات، ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبارات" في اسم الأحد :يقول: "الأحد: هو الكائن عنه كل منعوت، وإليه يصير كل مربوب، يطمس من ساكنه، ويطرح من نازله، إن أشهدك إياه فاتك، وإن غيبك عنه رعاك".

ويقول: "الآحاد الظاهرة في الوجود الحق أربعة: أحد لا يتجزأ، ولا يفتقر

إلى محل: وهو الباري جل وعلا، والثاني: أحد يتجزأ، وينقسم، ويفتقر إلى محل: وهو الجسم، والثالث: أحد يتجزأ، ولا ينقسم، ويفتقر إلى محل: هو الجوهر، والرابع: أحد لا يتجزأ، ولا ينقسم، ويفتقر إلى محل: وهو العرض."

يقول الحسين بن منصور الحلاج :

"من لاحظ الأزلية والأبدية، وأغمض عينيه عما بينهما: فقد أثبت التوحيد .

من أغمض عينيه عن الأزلية والأبدية، ولاحظ ما بينهما: فقد أتى بالعبادة .

ومن أعرض عن البين والطرفين: فقد تمسك بعروة الحقيقة ."

"من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر، فإن الله تعالى تفرق بذاته عن ذوات الخلق وصفاتهم، فلا يشبههم بوجه من الوجوه، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء، وكيف يتصورالشبه بين القديم والمحدث. ومن زعم أن الباري في مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير أو يتخايل في الأوهام أو يدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك" .

في عدم قول الحلاج (أنا الله):

يقول الإمام القشيري في قول الشيخ الحلاج: (أنا الحق): " يمكن اغتفارها، إذا عرفنا أنه لم يقل:(أنا الله)، لأن هذا الاسم للتعلق دون التخلق، وكل اسم من أسمائه سبحانه وتعالى يصلح للتخلق به، إلا هذا الاسم ."

يقول: " الأمر: عين الجمع " ويقول: "سماه الحق أميًّا: لجمع همته "...

الأنا بين إبليس والحلاج:

"قيل للشيخ عبد القادر الكيلاني :إبليس يقول: (أنا) فَطُرد، والحلاج يقول: (أنا) فَقُرِب ؟

فقال: الحلاج قصد الفناء بقوله (أنا) ليبقى هو بلا هو، فأُوصِلَ إلى مجلس الوصال، وخلع عليه خلعة البقاء .

وإبليس قصد البقاء بقوله (أنا)، ففنيت ولايته، وسلبت نعمته، وخفضت درجته، ورفعت لعنته .

يقول الحسين بن منصور الحلاج :"لم يؤذن لأحد في الانبساط على بساط الحق بحال، لأن بساط الحق عزيز، حواشيه قهر وجبروت... فمن انبسط عليه رد عليه، كنوح {عليه السلام} لما قال: " إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي "، فقيل له: [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ]."

في استيلاء البشرية على الروحانية يقول: " صفات البشرية: هي لسان الحجة على ثبوت صفات الصمدية" بمعنى (الباطن) من العباد.

يقول: " الباطن: [من] لا باطن له "

يقول الشيخ إبراهيم بن عبد الكريم الحلوان: خدمت الحلاج عشر سنين وكنت أقرب الناس إليه ومن كثرة ما سمعت الناس يقولون فيه :إنه زنديق توهمت في نفسي فاختبرته فقلت له يومًا: يا شيخ أريد أن أعلم شيئًا من علم مذهب الباطن، فقال :باطن الباطل أم باطن الحق؟

فبقيت متفكرًا، فقال: أما باطن الحق فظاهره الشريعة، ومن تحقق في ظاهر الشريعة ينكشف له باطنها، وباطنها المعرفة بالله .

وأما باطن الباطل: فباطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، فلا تشتغل به .

في العلاقة بين البلاء والافتقار يقول:"البلاء من الله، والعافية من الله، والأمر عن الله، والنهى إجلال لله."

في رمز إسقاط الوسائط يقول: "أسقط الوسائط عند تحقيق الحقائق، وأبقى رسومها وقطع حقائقها."

فمن بايع النبي على الحقيقة، فإن تلك بيعة الله، لأن يده في تلك البيعة يد عارية."

ويقول في معنى البين :" البين: هو صورة وجود ما بين الأزل إلى الأبد ."

ومن لاحظ الأزلية والأبدية، وغمض عينيه عما بينهما فقد أثبت التوحيد ..

ومن غمض عينيه عن الأزلية والأبدية ولا حظ ما بينهما فقد أتى بالعبادة، ومن أعرض عن البين والطرفين فقد تمسك بعروة الحقيقة."

وفي الجمع يقول:" الجمع: الفناء بالشئ.

ونزول الجمع ورطة وغبطة، وحلول الفرق فكاك وهلاك، وبينهما يتردد الخاطران، إما متعلق بأستار القدم، أو مستهلك في بحار العدم ..."

في الظهور بمقام الجمع يقول:

"لم يُظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمة وأشرفها فقال :[إِنَّ الَّذينَ يُبايِعونَكَ إِنَّما يُبايِعونَ اللهَّ] ." وفي الوصول والوصل والوصال وعلاقته بالجوع يقول " من أراد الوصال جاع في الدنيا" .

وفي المحبة يقول الحلاج: المحبة: صفة سرمدية وعناية أبدية، فلولا العناية السرمدية ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فاطرح مقاليدك إلى محبوبك، فإن من لاحظ الأعمال حجب عن مقصوده، ومن لاحظ مقصوده حجب عن الأعمال.

وإنما هذه ألسن مستنطقات وأنفس مستعملات، فمن كانت العناية السرمدية مصروفة إليه استنطقته بحقيقة حقائق الحق، واستعملته على بساط سريرة سرائر السر سرمدًا في سرمد ."

سُئل الشبلي عن حال حسين بن منصور [الحلاج]. فقال: ذاك جزاء من أفشا سره وأظهر أمره، إنما هذا الأمر مبني على الكتمان، فإن الحق غيور .

وقيل للحسين بن منصور (الحلاج): متى تصفو المحبة؟ قال: إذا عدم المحب نفسه ومصحوبه، فلا يرى إلا محبوبه ومطلوبه فقد صفت له المحبة، وما دام هو واقف على مقام الفروق بـ: لي ولك وأنا وأنت ومعي

ومعك، فهو محجوب .

في طبقات المحبة يقول:

"سبحان من جعل محبته على ثلاث طبقات :طبقة خصهم بأذكار الأسامي والأوصاف فعاشوا بها، وطبقة أبرز لهم علوم القدوة فطاشوا بها، وطبقة كشف لهم عن حقيقة الحقائق فتلاشوا بها."

قال الشيخ أبو بكر الشبلي للحسين بن منصور [الحلاج]: "أيحسن الصبر بالمحب عن محبوبه .

فقال: يستحيل صبر الفتى عن نفسه، إذا صحت المحبة تمازجت الكلية فاستحال الفراق. ثم أنشد :

قــد تصــبَّرتُ وهــل يصــ ـبرقلــبي عــن فــؤادي

مازجــت روحــك روحــي في دنــــــوٍّ وبعــــــادِ

فأنــا أنــت كــما أنــك أنّــــــي ومُــــــرادي

وفي حقيقة المحبة يقول الحلاج:

"حقيقة المحبة: هي العناية الإلهية السرمدية، لولاها مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ ."

ويقول: " حقيقة المحبة: هي قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، والاتصاف بأوصافه ."

وأضاف قائلًا: " لأن كلية المحب تطابق كلية المحبوب، فغيبته غيبة المحبوب،

ووجوده وجود المحبوب، فإذا انفرد به استحق المشاهدة."

ولهذا لما وقف محمد صلى الله عليه وسلم على بساط الانفراد بالمؤانسة والمشاهدة رجع عنه جبريل وهو يقول: [وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ]، ثم: [فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى] .

وموسى عليه السلام لما لم يقف على بساط الانفراد والمؤانسة، وقف ومعه سبعون رجلًا للميقات، فقيل له: لن تراني.

وفي الحروف يقول الحلاج: "الحروف: هي آياته ووجوه إثباته " طول الحروف وعرضها.

يقول ابن عربي:"إذا سمعت أحدًا من أهل طريقنا يتكلم في الحروف، فيقول: إن الحرف الفلاني طوله كذا ذراعًا وشبرًا، وعرضه كذا كالحلاج وغيره :فإنه يريد بالطول فعله في عالم الأرواح، وبالعرض فعله في عالم الأجسام، ذلك المقدار المذكور الذي يميزه به، وهذا الاصطلاح من وضع الحلاج."

ولما سُئل من هم حزب الله يقول الحلاج: "حزب الله: هم الذين إذا نطقوا بهروا، وإن سكتوا أظهروا، وإن غابوا حضروا، وإن ناموا سهروا، كملوا فكمّلوا، وأزيحت عنهم علل التخليط فطهِّروا."

وعن كلمة الحق يقول: "الحق {عز وجل }: هو المقصود إليه بالعبادات، والمصمود إليه بالطاعات، لا يشهده غيره، ولا يدرك بسواه بروائع مراعاته تقوم الصفات، وبالجمع إليه تدرك الدرجات".

في حقيقة الحق يقول:" حقيقة الحق مستنير، حقيقة الحق قد تجلت صارخة من نبأ خبير، مبلغ من رامها عسير .

مرتبة حقيقة الحقيقة:

يقول: " مرتبة حقيقة الحقيقة: هي مرتبة الاثنينية التي يقال فيها: [أنت كما أثنيت على نفسك]."

وفي الحكمة يقول: "الحكمة: سهام رب العالمين، وقلوب المريدين أهدافها، وألسن الحكماء قسيّها، والرامي: الحي القيوم، والخطأ معدوم."

وفي أفضلية الحمد يقول: "ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها، والحمد: النبي، والمحمود: الله تعالى، والحامد: العبد، والحميد: حاله الذي يوصل بالمزيد."

الأحوال بين المتصرف بها والمتصرفة به يقول :

"إن الأنبياء سُلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرّفونها لا الأحوال تصرّفهم، وغيرهم سُلطت عليهم الأحوال، فالأحوال تصرّفهم لا هم يصرّفون الأحوال ."

وفي أقسام الحياة يقول :

"الحياة على أقسام :فحياة بكلماته، وحياة بأمره، وحياة بقربه، وحياة بنظره، وحياة بقدرته، وحياة هي الموت وهي الحركات المذمومة، وهي قوله جل وعلا: [أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ وَما يَشعُرونَ]."

في أنواع الحياء يقول :

"حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه سرور المنّة، بل حياء الطاعة أزال عن قلوب أوليائه شهود سرور الطاعة."

وفي الخبيث يقول: "الخبيث: الناظر إلى الخبائث بعين الطهارة."

وفي خاطر الحق يقول: " خاطر الحق: هو الذي لا يعارضه شيء."

في أصول خلق الخلق يقول:" خلق الله تعالى الخلق فاعتد لها على أربعة أصول :الربع الأعلى إلهية، والربع الآخر آثار الربوبية، والربع الآخر النورية بيّن فيها التدبير والمشيئة والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة والإدراك والتمييز ولغات الكلام، والربع الآخر الحركة والسكون."

في أول ما خلق الله يقول: أول ما خلق الله تعالى... ستة أشياء في ستة وجوه قدر بذلك تقديرا :

الوجه الأول: المشيئة خلقها على النور، ثم خلق النفس، ثم الصورة، ثم الأحرف، ثم الاسماء، ثم اللون، ثم الطعم، ثم الرائحة، ثم خلق الدهر، ثم خلق المقدار، ثم خلق العمى، ثم خلق النور.

ثم الحركة، ثم السكون، ثم الوجود، ثم العدم، ثم على هذا خلقًا بعد خلق .

وقال أيضًا على وجه آخر: أول ما خلق الله تعالى الدهر، ثم القوة ثم الجوهر، ثم الصورة ثم الروح.

هكذا خلقا بعد خلق في كل وجه من الستة، خلقهم في غامض علمه لا يعلمها إلا هو."

في سبب كونه على خلق عظيم- صلى الله عليه وسلم -يقول: "لما دنى السفير الأعلى من الحق في المسرى أيده، فقال: (سل تعط) فقال: ماذا أسأل وقد أُعطيت، وماذا أبتغي وقد كُفيت، فنودي: إنك لعلى خلق عظيم، حيث نزهت بساطنا عن طلب الحوائج" .

في الرعدة من خوف القطيعة يقول: "رعدة المريد من خوف القطيعة، أفضل من عبادة الثقلين".

في عاقبة الخوف مما سوى الله يقول:

"من خاف من شيء سوى الله ـ عز وجل ـ أو رجا سواه، أغلق عليه أبواب كل شيء، وسلط عليه المخافة، وحجبه بسبعين حجابًا أيسرها الشك."

في خوف التسليط يقول:" خوف التسليط: هو خوف الأنبياء والأولياء وأرباب المعارف ."

في خوف العامة :

يقول: " خوف العامة: هو [خوف] تلف النفوس "

خوف الملائكة يقول: " خوف الملائكة: هو خوف مكر الحق ." [وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضى اللهُ وَرَسولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ].

في الاختيار :يقول :"الاختيار: هو طلب الربوبية "

في رفع درجات بعض العباد على بعض "فضيلة أرباب الحقائق إسقاط العظيمتين، ومحو الملكوت في الحالين، وإبطال الحيزين ونفي الشركة في الوقتين

الأزل والأبد، والتفرد بالحق بنفي ما سواه، ورؤية الحق، والسماع منه وذلك قوله تعالى :[نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ].

في زينة الدنيا يقول: " زينة الدنيا: هي ما فيها، بالنسيان، والغفلة، والتأويل، والشهوة، والنفس، والعدو، وأشباه ذلك ."

في مراتب الذكر يقول: "الذكر ثلاثة: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وذكر بالروح، فإذا اجتمعت الثلاث كان المؤمن ذاكرًا. "

أما في أشرف الذكر فيقول:" أشرف الذكر: ما لا يشرف عليه إلا الحق، وما خفي من الأذكار أشرف مما ظهر."

وعن المريد يقول: "المريد: هو الرامي بقصده إلى الله ـ عز وجل ـ، فلا يعرج حتى يصل ."

ويقول: " المريد :هو الخارج عن أسباب الدارين أثرة بذلك على أهلها."

السُكْر :[عند الحلاج]: هو النشوة المتولدة عن جذبات المحبة الإلهية القوية.

في سكر أنوار التوحيد والتجريد" من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد، نطق عن حقائق التوحيد، لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم. "

وخلاصة فكر وفلسفة الحلاج يمكن أن نوجزها في الأفكار الآتية:

لقد كان الحلاج شخصية متفردة، انفعالية، جذرية، رافضة لمظالم مجتمعة ولاستبدادية حكامه، لايحبُّ التسليم والخنوع على طريقة الرعية من حوله، غيورٌ على الدين القويم الذي استوعبه من منبعه السليم، ولهذا فقد اختار

طريقه الخاص الذي يليق بشخصيته – الاتصال- بالمطلق ولا يعني هذا أنه كانت لديه رغبة عميقة بالتفرد، كهدفٍ عالٍ ونهائي، ولكن تفرده بهذه التجربة الخاصة قدجاءت من صدق التجربة، وأيضًا من التناقض بين البحث عن المطلق، ومحاولة الاتصال به، أو توهم حدوث الاتصال في لحظة ما، نتيجة لعمق التجربة، على المستوى النفسي على الأقل، وبين التسليم بعدم إمكانية الاتصال، وبالتالي خلق لحظة من الانفعال والركض الدامي بهذا الاتجاه المطلق المتعالي، للوصول إلى الخلود، فالمسالة عنده إذًا هي أن تتوصل او تتوهم الاتصال لا فرق.

(أيها الناس أغيثوني من الله...فإنه اختطفني منه، وليس يردُّني عليه، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة، وأخاف الهجران، فأكون غائبًا محرومًا، والويل لمن يغيب بعد الحضور، ويهجر بعد الوصل)

لقد حاول أن يجد نفسه، وبالتالي جاهد ليجد للحياة معنى، في شئ ما، في فكرةٍ ما، وهذا كله ما هو إلا انعكاس لخلفيته الأيديولوجية، وبُنْيتهِ النفسية، ومن هنا فتجربة الحلاج لم تقم على الحلول المطلق، أو الاتحاد المطلق، بقدر ما كانت الحرص على الشوق الدائم، والتوق الدائم لتأبيد لحظة الاتصال بالمطلق، وبما أن ذلك غير ممكن، فالحل الأمثل لا يكون إلا بالموت...لتكتمل الأسطورة، أسطورة الإنسان الذي يقدم نفسه فداءً على مذبح العقيدة والبحث عن الإنسان الكامل.

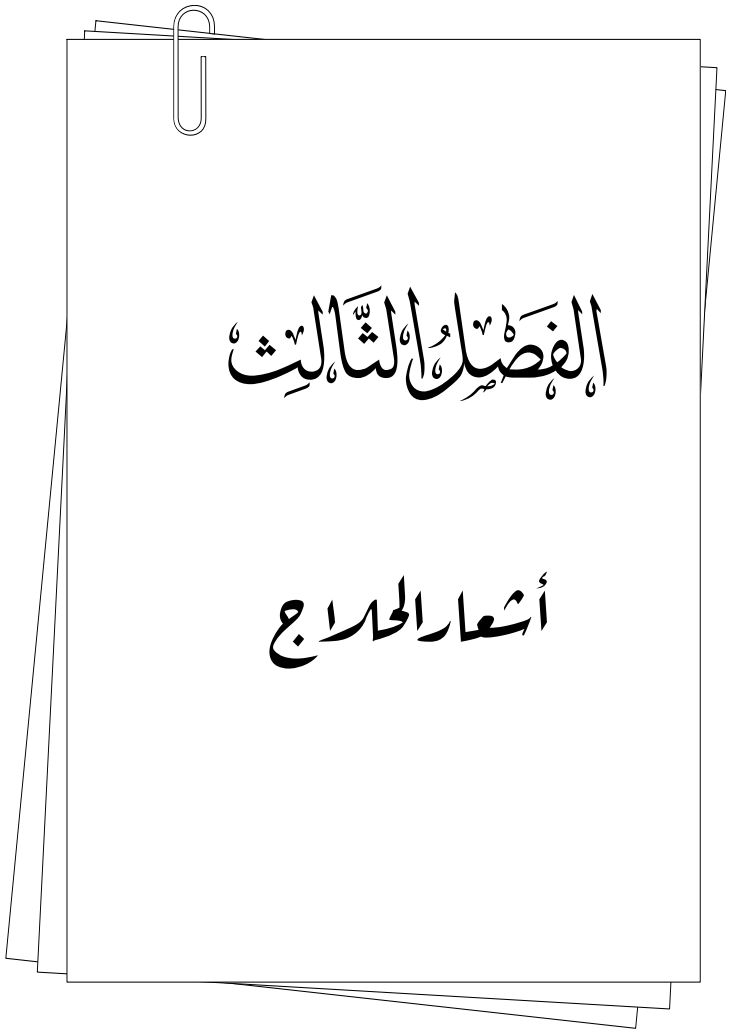

الفصل الثالث

أشعار الحداج

ا- قراءة جديدة في أشعار الحلاج:

هذه قراءة جديدة ومحاولة لترميم وإعادة بناء هيكلي لأشعار الحسين بن منصور الملقب بالحلاج الذي، ذاع صيته في الآفاق، والذي وللاسف الشديد، لم تجر محاولة إعادة اكتشافه إلا عـلى أيدي بعض المستشرقين الذين وصلوا إليه عن طريق الاحتكاك المباشر مع التراث الصوفي الإسلامي في المغرب العـربي، الأمرالذي جعلهم يتوقفون طويلًا عند تراث هذا الرجل الأسطورة، وعلى رأسهم (لويس ما سينون) الفرنسـي الأصل الذي انشغل به حتى أصبـح يسمى (صاحب الحلاج)١٨٨٣-١٩٦٢م، والذي خصه برسالة مطـولة لنيل الدكتوراه بعنوان (عذاب الحلاج) ألقاها في مؤتمرالمستشرقين الذي انعقـد في أثينـا عام ١٩١٢م، ونشر كتابه الطواسين وأخباره والنصوص التي دارت حوله، ومن هنا توالت الدراسات والأبحاث والتي ولم تزل حتى الآن، لا تفي بالغرض لهذا الرجل المتعدد المواهب الخارق السيرة، والمثير للجدل في آرائه، والرائد في أشعاره والكثير من فلسفاته ونظرته للإنسان والوجود وحبه وعشقه الإلهي الذي يفوق التصور.

أما المستشـرقة الألمانية (آنا ماري شميل) فقد أصدرت كتابًا بعنوان (شهيد الحب الإلهي) ١٩٦٨م، أما في المشـرق العربي، حيث دارت مأسـاة هذا الرجل، فلم ندر لماذا أُهمل رسميًّا، وشعبيًّا (أدبًا، وفكرًا، ونقدًا)، ولـم يتوافر إلا النزر اليسير، بل على العكس فقد جرت محاولة طمس تراثه وتحريفـه وانتحاله وادعاء من بعده من المفكرين والصوفين والعديد من الشعراء ابتكار معظم هذه

النصـوص المشهورة، التي بين أيدينا، وادعاءعدم التأثر به، واحتساب الريادة لهم في شتى المواضيع، أو الاستشهاد بأشعاره في الخطب والمواعظ، بعبارة قال الشاعر: ولا نـدري أكان ذلك بقصد أو دون قصد.

وهذا هو ما يهمنا في هذا المبحث المبسط والمأخوذ بشكل ذوقي أكثرمنه بحثًا فكريًّا، علميًّأ أو أدبيًّا خالصًا.

لم أقرأ للحلاج إلاّ نزرًا يسيرًا، قبل إنهاء دواويني الأربعة عام ٢٠٠٩م، وهي هلال الغربة، دائرة الملح، رحيل في أبعاد الأبجدية، والأخير أطباق شعرية، وكنت قد كتبتُ عام ١٩٨٩م في ديوان هلال الغربة عقب قراءة مسـرحية (مأساة الحلاج) لصلاح عبد الصبور هذه الأبيات:

فوق مقدورنا أن نكون كما كان،

أو أن نعيش كما عاش،

أن نجعل الموت أضحوكةً ودعابةْ.

أن نجعل الرمز ديوان شِعرٍ،

وأن نجعل النفس قيدًا،

وأن نجعل المفرد الحرَّ أسطورة وروايةْ.

ضاقت الأرض بالفرح المتطاير من رأسهِ،

ضاق فهم الجميع على فهمهِ،

لم يَسَعْهُ الزمان الذي جاء فيه،

ولم يتسعه المكان.

ملاكٌ، وشيطان.

نهرٌ، وبركان.

مهزلةٌ، واتزان.

اختلفنا على اسمهِ، وهو يصرخ فينا:

أنا الحق...

التمرُّد فلسفةٌ في عبارته،

والتحدِّي يقين.

مات فوق الصليب الذي جاء في شعره.

وشهدنا على موته مرتين،

حاكَمَهُ الدِّين،

لكنه حاكم العالمين.

سال دمًا وهو يضحك،

علَّمنا كيف نهزأ بالجسدِ / الطين.

وهناك قصيدة أخرى في ديواني (أطباق شعرية) كنتُ أشرت فيها إلى الحلاج، وهي تحمل وجهة نظري حول الصوفية والتصوف، ربما يفيد ذكرها هنا.

معـراجٌ أفـقي

مـــن ذا يـــؤكد صـــحة الأحكـــام

ويحُـــلَّ معضـــلةً بـــلا إلمـــامِ

خضـــتُ المعـــارف والعلـــوم بهمّـــةٍ

ورحـــلتُ خـــلف مـــداركِ الإفهـــام

أفـــنيتُ عمـــري كلَّـــه متأمـــلًا

ورحلـــتُ خلـــف مســـافتي ومَقَامـــي

مـــا في الحيـــاة فهمتـــهُ وحذقتـــهُ

مـــا في النفـــوس وصـــفته بكلامـــي

مـــا في قلـــوب العاشقيـــن وجدتـــهُ

متغلـــغلًا بـــدمي وبـــين عظـــامي

أعلنـــتُ شـــوقي للخـــلاصِ مُجـــاوزًا

مـــا قـــالهُ الحـــلاَّج، والبسطـــامي

كيـــف الوصـــولُ إلى مشـــارف غـــايتي

أيـــن الطريـــق إلى بلـــوغ مَرامـــي

هـــل بالســـباحةِ في الـــهواء بـــلا يـــدٍ

أم في الكـــرى ســـعيًا عـــلى الأقـــدام

أم بارتقـــاءِ الـــروح دون وساطـــةٍ

أم بانتظـــــار كـــــرامةِ الإلهـــــام

هـــل بـــالحُلولِ بـــأيِّ جِســـمٍ نابـــضٍ

أو باتحـــاد الـــروح بـــالأ جســـام

هـــل بالعلـــوم وبالتجـــاريب التـــي

زادت غمـــــوضي طيـــلة الأعـــوام

أم بالتخـــاطر والتنـــاذ ر والـــرُّؤى

أو بالتناســـخ خـــارج الأرحـــام

أم بالتَّـــفرُّعِ مـــن جـــذور مشايـــخي

كتفـــــرُّع الأغصـــانٍ والأكمـــام

أم بالتفـــاني في الحـــروف وقـــد بـــدا

أنَّ الحـــــروفَ مطيَّـــــةُ الأعَـــــلام

كـــم غصـــتُ فيهـــا وامتزجـــتُ بِحَبرهـــا

حتـــى طـــغتْ لُـــغتي وحـــلَّ هُيـــامي

ورحلـــــتُ في الأشيـــــاء أو حرَّكتُهـــــا

حتـــى رفـــعتُ حجـــارة الأهـــرام

ومشـــيتُ فـــوق المـــاءِ دون وســـاطةٍ

ورقصـــتُ وَجْـــدًا، في الهـــواء أمـــامي

حـــين التفـــتُّ إلى الـــوراء مُحـــدِّقًا
شاهـــدتُ مـــن غـــادرتُهم قُـدَّامـــي
والصبـــحُ يـــأتي في المســـاءِ وليلتـــي
صبـــحٌ وشـــمسُ حقيـــقتي بظـــلام
وجـــه الحقيقـــة، غـــائبٌ، متغـــيبٌ
لا أقتفيـــــهِ، ولا يـــــلوحُ أمامـــــي
لَّـــا وضـــعتُ عـــلى الخريطـــة إصبـــعي
ورحلـــتُ خـــلف الشـــكِّ والأوهـــام
ونســـجتُ مـــن خـــيط الوجـــود قريحتـــي
وفصـــلتُ معجـــزتي عـــن الأحـــلام
حجمـــي تضـــاءل واستفـــاقت محنتـــي
وطـــغتْ تباعيضـــي عـــلى أقســـامي
فحصيـــلتي صـــفرٌ، إذًا، في رحلتـــي
والصـــفرُ، أضـــحى ســـيِّد الأرقـــام
وكـــأن مـــا حـــولي تضـــاعيفٌ لِـــا
ســـمُّوهُ صـــفرًا، ســـائر الأقـــوام
فمـــزجتُ ذاك بـــذا، وتلـــك بهـــذه
فعرفـــتُ كيـــف ســـكرتُ في أوهـامـــي

غــاب الزمــان مــع المكــان صحــوتُ
في الجســـــد الجـــــريح الـدَّامـــــي
حيــث الحقيقــة في الوجــود تمازجــت
كتمـــــا زجِ الألـــــوان والأنغـــــام
غـــنَّيتُ للفـــرحِ العَـميـــم، محبّـــةً
وســـقَيْتُ كـــل العـــاشقينَ مـــُدامي
بـــدمي سقـــيتُ حـــدائقي ومغـــارسي
ونســـجتُ أجنـــحتي مـــن الأقـــلام
حيــث الصــغير وقــد تنــاهَى حـجْمُــه
في الكـــونِ، يُخفـــي حجمـــهُ المتنـــامي
متعـــــلِّقٌ لايـــــدْرِ ماهيـــــةَ وضْـــــعِهِ
في صخـــــرةٍ، أو فـــوق بحـــرٍ طـــامي
هـــو ذرةٌ لا تـــــدْرِ هـــل في البَـــرِّ أم
في البحـــرأو جُـــرْمٍ مـــن الأجْـــرام
متعلِّـــــــقٌ بحضـــــــورهِ بِمَجَـــــرَّةٍ
هـــي رملـــةٌ، فـــي شـــاطئٍ مُتـــرامي
كتعلُّـــق الطيـــف الجـــميلِ بشمْســـهِ
كحفيـــف غصـــنٍ في نُشـــور غَـــمَام

أنـــىَّ تُقـــاربُ طينـــة، مخلـــوقةٌ
ربَّ الجـــلال المحـــض والإعظـــام؟
وجزيئـــةٌ مُـــزجت بطـــينٍ لازبٍ
لا تـــدر مـــا في الطـــين مـــن إبهـــام
أو كيـــف حـــلَّ المـــاء في أجســـادنا
بخصـــائصٍ عجـــزت عـــن الإلمـــام
بينـــي ومـــن عـــرفُوهُ وجـــهُ تعلُّـــقٍ
كتعـــلُّقِ الـــذَّراتِ بالأجســـامِ
بينـــي وربِّي، نَفْحـــةٌ قدسيَّـــةٌ
تسمُـــو وراءَ النَّقـــضِ والإبـــرامِ

صنعاء- ٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م

وأثناء قراءتي له، أحببتُ وجود بصيص من التشابه والتخاطرمع بعض أفكاره، ونصوصه في رسم الصورة والتناول وتوليد المعنى، ورغم الفارق الهائل في القدرة الإبداعية واختلاف الأسلوب، الذي قد يكون عندي، بعضه، بشعر التفعيلة التي نادرًا ما تتخلى عن القافية.

أوجـد ذلك لدي رغبة في قراءته، بعد أن وجدت نفسي أردد ما كتبه من حين لآخر، ولم أكن أنوي حفظها عن ظهر قلب. وأثناء إعادة القراءة، التي كنت أجدها أفضل مـا يؤنسني عندما أكون في حالة ضيق ووحدة، ولعل ذلك

منذ سنين الطفولة الأولى حين كنا، وإلى اليوم نشيِّع جنازات موتانا، وننشد مع المشيِّعين:

إلى كـم أنـت في بحـر الخطايـا تُـعاند مـن يـراك ولا تـراهُ

إلى آخرها للحلاج، بلحن جنائزيٍّ مهيب.

أثناء قراءتي:

وجدت ألفاظًا مغلوطة في تلك النصوص التي، والحق يقال، نقلت بأمانة من مخطوطات متفرقة وعديدة أو أخطاء إملائية، أو كانت في غيرمحلها، إضافة إلى ذلك مقطوعات تتشابه في السياق والبحر والقافية، ولكنهـا في نصوص مختلفة فتساءلت هل يمكن أن يكون هذا الأفق اللغوي الواسع قد اضطر لتكرار نفسه أو النظم على وزن ما سبق نظمه، فجرت محاولة مني لترميم وإعـادة هيكلة هذه المقطوعات والمجزوءات التي أبدعها والتي لا تزال تجري على السنتنا وأغانينا، التي حفظت من المحق، دون أن نعرف من القائل، إلى ذلك تم اختياري للنصوص التالية والتي تنسجم مع هذا الشاعر وتناسب قـاموسه اللغوي وأسلوبه في بناء القصيد وألفاظه وتوليداته واشتقاقاته التي تعكس شفافية في البوح وبساطة في التركيب وأغوار فسيحة في المعاني والرمزيات.

هذه النصوص كانت قد جُمعت من العديد من المخطوطات المتوافرة، وبعـض هذه النسخ وهي الأقل، قد كانت نسبتها إلى شعراء آخرين أمثال الشـبلي، وأبـي

العتاهيه، وسيمنو المحب وغيرهم.

وكان بعضهم من الأجيال التالية، كما أسلفنا، قد ادّعى ابتكارها، على سبيل تقاسم الميراث، بعدما تم صلبه وحرقه، وشعور البعض أنه لا يستحق أن يُخَلّد، وهو الذي قد قدم لهم تلك التضحية التي لم نجد أخرى مثلها تتكرر حتى يومنا، مالي سوى الروح خذها والروح جهدُ المُقِلِّ.

يقـــول للعـــين جـــودي بالـــدموع وإنْ

لم يُجْـــدِ نفعًـــا - وإلاّ فلنجُـــدْ بـــدمِ

لقد أحسستُ وكأن الحلاج يُملي عليّ الفكرة ويقودني إلى المفردة السليمة، وبناءً على ذوقي الخاص، وتذوقي قررت إنشاء هذا العمل المتواضع، ولم أصل بعد إلى عنصر التشابه، فالظروف غير الظروف والثقافة كذلك وشتان بينها، ولا أقارن نفسي بهذا العملاق الفذ، وإنما احببت ذكر المسببات التي دفعتني لهذا العمل الخارج عن تخصصي، وكذلك الإسهام بشيءٍ بسيط في إنصاف شاعرٍ عظيم تعرض لمأساة عظيمة مثله في ذلك مثل معظم شعرائنا وفنانينا ومبدعينا العرب سابقًا ولاحقًا، وعلى مر الأزمان.

لقد حرصتُ أن أميزهذا التعديل عن طريق الألوان، وفي حالة استحالة ذلك آمل من الطابعة أن تميز ذلك ولوعن طريق تغير نمط الكتابة أوما شابه، حفاظًا على أمانة النقل ومدخلا للتصويب أو التعليق أو النقد.

إن أشعار الحلاج هي من نوع السهل الممتنع، البسيط العميق ولا يدرك ذلك إلا بالقراءة أكثر من مرة، فهي حمالة أوجه، وتحتمل التأويل، بل وحتى قد

تحتمل النقيض وهو يصرِّح عن ذلك بقوله عن نفسه:

أعمـــى بصـــيرٌ وإني أبلـــهٌ فطـــنٌ

ولي كـــلامٌ إذامـــا شـــئت مقلـــوبُ

ولعل هذا يجرنا إلى جدلية الثنائية التي استنتجناها من قراءة نصوصه قراءةً إجمالية، كما يأتي لاحقًا، وهي تنسجم تمامًا مع شخصيته ونظرته لكل ما حوله في الوجود، من ثنائية وضدية، كالحياة والموت والخير والشر والأبيض والأسود.

ولا نستطيع الجزم من أين جاءت فكرة الثنائية وهل هي من استقرائه للكون من حوله، أم تأثّرًا بفلسفة آلهة الخير والشر التي وردت في الأساطير اليونانية والديانات المانوية والزرادشتية، ولعله أمرٌ بديهي، يشعر به الجميع، وأنا شخصيًا كنت قد كتبتُ حوارًا حول ذلك في (رواية مهرجان الحروف) التي لم تصدربعد، لأسباب معروفة.

تتميز أشعار الحلاج بالصور العميقة والشفافية الموحية، وخلوها من الإنشاء والإسهاب والإطناب الذي كان سائدًا آن ذاك، فأفكاره مترابطة ليس فيها السرد الممل ولا التكرار، ولغتها رقيقة عميقة مبتكرة الإيقاع والاشتقاق والتوليد وهي غنائية بالدرجة الأولى، لكنها تحمل في باطنها أفكارًا هامة وعميقة ورؤية فلسفية للأمور الصغيرة والكبيرة، سواءً الواضح منها، أوغير ذلك كالغيبيات والماورائيات، كما نلحظ فيها التحليق إلى حدود المطلق والوجود والألوهية.

ولو عكسنا مراحل تطور الشعر العربي والعالمي كذلك، رأسًا على عقب، من الكلاسيكية إلى التقليدية ثم الرومانسيية وأخيرا الواقعية، لوجدنا أن هاتين الأخيرتين، إنما بدأت من عنده، أو على الأقل في عصره وكما يقول هو:

مواجيد أهل العشق تصدر عن وجدي

وأسرار أهل الكشف موجودة عندي

ومـــا شرب العشـــاق إلا بقيـــتي

ومـــا وردوا في الحـــب إلا عـــلى وردي

فهو في نظري من المؤسسين للشعر الغنائي العربي، الذي كان من طبيعة ذلك العصر، والذي لاتزال يفوح عبيره إلى اليوم في بلادنا، وكتب الغناء اليمني حافلة بآلاف المقطوعات التي يظهر تأثيره فيها بشكل صريح، في التقفيلات والتوشيحات التي جرى عليها مذهب الغناء اليمني، الذي وضع لها ألحانًا طربية، اهتمت بتلحين البحر والتفعيلة أكثر من اهتمامها بالأغنية في حد ذاتها.

وبما أن البحور الشعرية السبعة عشر تقريبًا، التي صنفها ورتبها الخليل بن أحمد الفراهيدي هي ملك الشعراء العرب جميعا، فمجزوءات البحور هي ملك الشاعر المبدع وحده، ومن سار على وزنها فهو إنما يحاكي ويقلد، حتى وإن اختلف موضوع النص، وتأثر الغنائين العرب بالحلاج إنما جاء من هنا، والأمثلة التي سنسوقها لاحقا تؤكد ذلك.

هناك أكثر من سبب، وأكثر من عامل يربط القصيدة الغنائية اليمنية بالذات

بشعر العصر العباسي الثاني وبالذات شعر الحلاج. من أهمها المأساوية الرومانسية التي صاحبت تجربة الحلاج وما يطابقها من تراجيدية في الحياة العاطفية اليمنية التي ظلت ولا زالت تتقلب على جمر البعد والهجر والحرمان العاطفي وصعوبة الوصول للحبيب، ونوضح ذلك فيما سيأتي من نصوص.

أما شعر الحلاج بشكل عام فهو أنموذجٌ فريدٌ، فلغته البسيطة العميقة، الواضحة الغامضة، الشفافة الفلسفية، تؤكد الصدق والعمق والدلالة، والاستحكام على اللغة والاندماج فيها والعيش والتحرك بها وهو كما قيل عنه أنه (الشاعـر الذي يحيـا شعره ويتنفس به).

أما أين هي أشعار الحلاج كاملة ومنقحة فهذا هو السؤال الكبير الذي هنا نحاول إعادة قراءته ذوقيًّا على الأقل وإعادة ترتيب المقطوعات المأخوذة من المخطوطات المتوافرة، والتي لاحظناها تشمل البيت الوحيد، والبيتين، والبضعة أبيات والتي تناثرت في المشرق والمغرب العربي وخارجه، وقُطِّعت أجزاءً، كما قُطعت أجزاء جسده وأحرقت، لا لشيئ إلا لخوف من ذلك الجسد الرقيق النحيل وما يحمله من روح عظيمة أيقظت الأمـة وكشفت ما بداخلها من زيف وبهتان.

٢- خصائص شعره:

المادة والموضوع:

لو حاولنا إسقاط أهم ملامح وثقافة المدارس الرومانسية التي تناولها رعاة الأدب والفكر المحدثين والنقاد الأكاديمين، والذي يتميز بالملامح العامة التي تعبر أولًا: عن الموقف العام للشاعر من الشعر والأدب عمومًا، وهو يرتكز على:

١-**الموقف الذاتي**: كإحساس الشاعر بالتميز والعزلة وتصوير الألم والمعاناة وتمجيد الألم وجعل المادة الشعرية وكأنها مرآة لذاته، فهذه في الواقع هي المادة والموضوع في شعر الحلاج أصلًا، خصوصًا إذا ما قارناه بالشعر السائد قبل عصره، والذي كان في معظمه يسير على نهج العصر الجاهلي بما يختص به من قصائد عصماء ومطولات بلغت ذروة الإتقان والإبداع ولا تزال تمثل المرجعية لشعرنا العربي حتى الآن بما حفلت به من أوزان وبحور وقوالب وتفعيلات وخلافه، فشعر الحلاج لم يبدأ بذكر الأطلال والخيل، ثم المرأة وبعد ذلك الدخول في الموضوع، فنجده يبدأ الموضوع من فوره وبما يجيش في نفسه في تلك اللحظة، وهذه لوحدها ولعمري أهم صفات الرومانسية الحديثة، والتي في نظري لا ترتبط بزمن محدد، والمسألة تظل نسبية كما هي في معظم الأمور.

٢-**الموقف الاجتماعي**: كالشكوى والهروب من الواقع والإحساس بالاغتراب، وهذا ما قاله وطبقه فعليًّا هذا الشاعر، سواءً على مستوى النص أو على مستوى الموقف السياسي النضالي، والتعاطف مع البائسين والفقراء والمستضعفين ورفض التفرقة والدعوة إلى السلام والحب بأنقى صوره.

٣- **الموقف التأملي**: في الذات والحياة والوجود والخالق وذلك الجهاد الفائق الاحتمال في سبيل الوصول إلى الحقيقة، فذلك مالم نجد مثيلًا له عند شاعر آخريصل إلى حد التضحية بالنفس بتلك الطريقة الرهيبة.

ثانيًا: الأدوات الفنية:

وأهمها:

١- **الصورة الشعرية وقوة الخيال**: وهذه ربما قد وصل بها إلى حيث -أحيانًا- يصعب استيعابها وفهمها وهي بحد ذاتها ليست على نهج الصور الشعرية في عصره، خصوصًا وأنها تستبطن رؤى عديدة وغريبة لله والكون والناس، وتحمل في مضامينها فكرًا عميقًا يعكس ثقافته الموسوعية.

٢- **اللغة الشعرية**: كما سبق الإشارة، تتميز بمعجم رومانسي جديد، وهو ما اعتمدنا عليه ذوقيًّا في اختيار النصوص والتحقق من نسبتها للحلاج وما صاحبها من حذف أحيانًا، وأحيانًا الصاقها به.

٣- **الموسيقى الشعرية**: هي غنائية طربية وكما أفردنا لها مقالًا عن الغنائية في الشعرالعربي واليمني على وجه الخصوص.

نصوص الحلاج وثنائية الأضداد والمقابلات

أولًا: ترميم وإعادة هيكلة قصائد الحلاج

أما عن بناء القصيدة ووحدتها، فهذا هو الدافع الأساسي لكتابة هذه الدراسة حيث وجدنا قصائده ممزقة مبعثرة فيما عُثر عليه من المخطوطات التي قام مشكورًا الكاتب عبد الناصر هارون بجمعها بأمانة وإتقان، وقد وجدنا بعض الأخطاء التي جاءت من المنشأ، والتي كما ذكرنا أنها قد مُزقت كما مزق جسد الحلاج نفسه وتبعثرت هنا وهناك، بل وربما حرفها بعض المناوئين والمتعصبين عمدًا، وهناك عددٌ من المقطوعات قد ألصقناها مع بعض ذوقيًا فصارت قصائدًا، وهنا تولدت القناعة بأنه لا يزال هناك بعض الأبيات مفقودة، إلاّ أن ملامح قصائد مطولة قد بدأت تبرز وبدأت تظهر على ملا محها، وملامح وحدة القصيدة بشكل يبعث على الدهشة كما سيأتي من خلال النصوص القادمة.

التأثير والتأثر في الفلسفة والأدب العربي:

لقد رأينا أن نورد ذلك بشكل مقتضب عقب كل نص من نصوص الحلاج كما سبق، سواء تأثر القصيدة اليمنية أو العربية عمومًا.

ثانيًا: ثنائية الأضداد والمُقابِلات:

١- جدلية اللفظ والمعنى:

للعلم أهلٌ:

للعلـــم أهـــلٌ وللإيـــمان ترتيـــبُ
وللعلـــوم وأهليـــها تجاريـــبُ[1]
والعلـــم علـــمان منبـــوذٌ ومكتـــسبٌ
والبحـــر بحـــران مركـــوبٌ ومرهـــوبُ
والـــدهر يومـــان، مـــذمومٌ وممتـــدحٌ
والمـــرء إثنـــان ممنـــوحٌ وموهـــوبُ
ذوو فنًـــا عرفـــوا ماقـــدعرفت فَهُـــمْ
صحبي ومن يحظ بالخيرات مصحوبُ[2]
تعارفـــت في قـــديم الـــذرِّ أنفسهـــم
فأشرقـــت شمســـهم والدهـــر غربيـــبُ

---

(١) هذه القصيدة وردت في مخطوطتين منفصلتين موثقتين بأرقام مختلفة، وأحياناً ثلاث، إلا أني وجدت أنهما نسيج واحد فجمعتها على هذا النحو، وجعلت بينهم سطر فاصل ولا يبعد أن تكون لها تتمة في مكان آخر، وهذا ما ورد في كتاب الحلاج لعبد الناصر هارون، وهوكما يقول عن نفسه ليس كاتباً محترفاً، إنما هو مهتماً بتاريخ الحلاج، متفرغاً له، وقد جمع المخطوطات العديدة من عدة مكتبات، في استانبول والقاهرة والمغرب والهند، ومن أشهر من كتبوا عن الحلاج، ويعني (ماسينون) الذي سبقت الإشارة إليه، وقد نقلها كما هي حرفياً، وقد أفادتنا في هذه الدراسة.

(٢) كلمة – ذوو فناً- فقد جآءت غيرواضحة في النص هكذا(ذووفتا)، فوضعتها هكذا

إني ارتقيــتُ علــى طــودٍ بــلا قــدمٍ

لــه مَــراقٍ عــلى غــيري مصاعيــبُ

وخضــتُ بحــرًا ولم ترسُــب بــه قــدمي

خاضته روحــي وقلبــي عنــه مرغــوبُ[1]

حصــباؤه جــوهرٌ لم تــَدْنُ منــه يــدٌ

لكنــــه بيــــد الإفهــــام منهــــوبُ

شربــت مــن مائــه ريَّــا بغيــر فــمٍ

والمــاءُ قــد كــان بــالأفواه مشــروبُ

لأن روحــي قــديمًا فيــه قــد عطشــتْ

والجسـم مـا مـاسَّـه مـن قبـل تركيـبُ

إني يتيــــــمٌ ولي آبٌ ألــــــوذ بــــــهِ

قلبــي لغيبتــه مــا عشــتُ مكــروبُ

أعمــى بصــير وإني أبــلهٌ فطــنٌ

ولي كــلامٌ إذا مــا شــئتَ مقــلوبُ

فاسـمع بقلبـك مـا يأتيـك عـن ثقـةٍ

وانظــر بفهمــك فــالتمييز موهــوبُ

(١) كذلك كلمة – مرغوبُ- لم تميّز بشكل واضح.

اقتلوني يا ثُقاتي:

اقتلـــــوني يـــــا ثُقاتـــــي إن في قتـــــلي حيـــــاتي
ومـــــــاتي في حيـــــــاتي وحيـــــــاتي في مـــــــاتي
وبقـــائي في صفاتـــــي مـــــن قبيـــــح السيئـــــات
ســـئمت نفســـي حيـــاتي في الرســـوم الباليـــات
فـــــاقتلوني واحرقـــــوني بعظـــــامي الفانيـــــات
ثـــــمّ مـــــروا بِرُفـــــاتي في القبـــــور الدارســـــات
وازرعـــوا الكـــل بـــأرضٍ تُربُـــها تـــرب مَـــوَات
تجـــدوا ســـــرّ حبيبـــــي في طـوايـــــا الباقيـــات
إننـــــي شـــــيخٌ كبيـــــرٌ في عـــــلوّ الدرجـــــات
ثـــــم إني صرت طفـــــلًا في حُجُـــــورالمرضعات
مـــن هـــواءِ ثـــم نـــارٍ ثـــمَّ مـــن مـــاءٍ فـــُرات[1]

---

(١) على نسق هذه القصيدة، جاءت أغانٍ يمنية عديدة، لأنها من مجزوء بحر الرمل، ولها إيقاع فني راقص، وروح طربية محببة، في الأغنية اليمنية، كما وردت في العديد من التقفيلات الغنائية في الشعر اليمني الغنائي:

وظلمني من أحبُّه بالجفا ظلم الحسينِ
ونَهَبْ عقلي وروحي باحمرارالوجنتينِ
وندِيم زاد عُجْبُهْ قاتلي في الحالتينِ

مزيد من التفصيل ورد سابقاً

أيها القانص: (القصيدة المنسوبة خطأً للحلاج)

أيهـــا القـــانصُ مـــا أحســـنتَ صيـــد الظبيـــاتِ[1]
فاتـــك الشـــربُ ومـــا زوّدت غـــير الحـــسراتِ
قـــال قـــم وافعـــل خيـــرا مـــن أداء الصـــلوات
قلـــتُ دعنـــي يـــا عـــذولي لـــيس ذا وقـــت الصـــلاة
أنـــا مشـــغولٌ بطـــاسي وبكـــاسي وسُقـــاتـــي
وســـــواقٍ جـاريـــــاتٍ وجـــــوارٍ ساقيـــــات
امـــلأ الـــكأس ودعـــني مـــن حـــديث الترهـــات
يـــا حيـــاتي، بحياتـــي إمـــلأ الكـــأس وهـــات
قبـــل أن يـــدركنا الـــدهرُ بِبَـــيْنٍ، وشـــتاتِ
يـــا وقوفًـــا مـــا وقفتـــم تحـــت ظـــل الســـموات
موقفـــا يجمـــع فتيـــان الهـــوى والفتيـــات
آهِ مـــنهنّ لقـــد أفســـدن حِجـــيِّ وزكاتـــي

---

(١) يساورنا الشك الكبير كما هو الحال عند من سبق من المحققين بأن المقطع الثاني، والذي لم يرد إلا في مخطوطة وحيدة، ليس من شعر الحلاج إنما جاء بعده وسيق على وزنه وعلى عكس موضوعه، وذلك بغرض التدليس عليه.

كما أنه يتنافي مع سلوك الحلاج الشخصي الذي عرف بالزهد والتصوف النقي، وعدم اكتراثه بالخمر والنساء، وقد عاش مع امرأته الوحيدة طيلة عمره.

ولأن الحلاج كما ذكرنا هو من القدرة الشعرية غير مضطر إلى أن يكرر نفسه، كما أن مواضيعه الشعرية متنوعة الصيغة والأسلوب إلى حد ملفت للنظر.

ومع ذلك

وانظر بفهمك (كما يقول هو) كيف تصور لنا معظم قصائد الحلاج طرفي الحياة النقيضين، كما تعكس روح الحلاج الكونية ذات الوجهين للشخصية الواحدة وهناك عدد من الأغاني المعاصرة تأثرت بمثل هذا الرّويّ مثل: قصيدة الجندول لعبد الوهاب وأغنية ام كلثوم المعروفة هذه ليلتي وحلم حياتي.

أحرفٌ أربع:

أحـرفٌ أربـعٌ بهـا هـام قلبـي ... وتلاشـت بهـا الهمـوم بفكـري[1]

ألـفٌ تـألف الخلائـق بالصـفح ... ولامٌ عـلى المَلامـة تجـري

ثـم لامٌ زيـادةٌ في المعـاني ... ثـم هـاءٌ أهـيمُ فيهـا أتـدري

يا غـافلًا:

ياغـافـلا لجهالـةٍ عـن شـا ني ... هـلا عـرفت حقيقتـي وبيـاني

أعبـا دة الله ستـة أحـرفٍ ... مـن بينهـا حرفـان معجومـان

حرفـان أصـليٌّ وآخـر شكلـه ... في العُجـم منسـوب عـلى إيـماني

فـاذا بـدا رأس الحـروف أمامهـا ... حـرف يقـوم مقـام حـرف ثـاني

أبـصرتني بمكـان موسـى قـائمًا ... في النـور فـوق الطـور حـين تـراني

هل يتحدث هنا عن كلمة (الصلاة)؟

ثلاثة أحرف:

ثلاثة أحرفٍ لاعُجم فيهـا ... ومعجومان وانقطع الكلامُ

فمعجومٌ يشاكِل واجديهِ ... ومتْروكٌ يصدِّقهُ الأنـامُ

وباقي الحرف مرموزٌ مُعمّى ... فلا سفرٌ ينـالُ ولا مُقـامُ

---

(١) كلمة الهموم بفكري، بدلا عن همومي وفكري ليستقيم الوزن، وكلمة بالصفح في البيت الثاني بدلا عن الصنع، لتقابل الملامة – مجرد رأي - والحديث هنا كما يبدو عن لفظ الجلالة(الله).

كتبتُ اليك:

كتبـــتُ إليـــك بفهـــم الإشـــارة
وفي الأنـــس فتّشـــتُ نطـــق العبـــارة
كتـــابًـــا لـــهُ منـــهُ عنـــهُ إليـــهِ
يترجـــم عـــن غيـــب عـــلم الســـتارة
بـــواو الوصـــال ودال الـــدلال
وحـــاءِ الحيـــاءِ وطـــاءِ الطهـــارة
وواو الوفـــاء وصـــاد الصـــفاء
ولام وهـــاءٍ لعمـــري مُـــدارة
عـــلى سر مكنـــون وجـــد الفـــؤاد
وخـــاءِ الخفـــاءِ وشـــينِ الإشـــارة
وللحـــقّ للخـــلق حـــقٌّ حقيـــق
بحـــقٍّ إذا حـــقُّ حـــقُّ الـزيـــارة
بهـــمْ لا بهـــم إذهُـــمُ لاهُـــمُ
ولا غيرهـــم في سُمـــوِّ الـــسرارة
فكـــلٌّ بكـــلٍّ جـــميع الجميـــع
مـــن الكـــل بـــا لكـــلِّ حـــرف نهـــارة
هـــو الطـــين والنـــار والنـــور إذْ
يعـــود الجـــواب بعُـــقبِ العبـــارة

ويبقـــى الـــذي كـــان قبـــل المكـــان

محيطًـــا عـــلى الكـــل بـــا لعلـــم داره

ويحشـــــرُ أعـــــداءهُ عاجـــــلاً

مـــن الجـــن والإنـــس في حـــرٍّ نـــاره

ويُسكـــــن أحبابـــــهُ قُربـــــهُ

بطيـــب النعـــيم وحســـن النظـــارة

وهـــــُو هـــــُوَ بـــــدءِ البَدايـــــا

وهـُوهُـــو دهـــرُ دهُـــورِ الدهـــارة[1]

كتبت ولم أكتب:

كتبـــتُ ولم أكتـــب إليـــك وإنمـــا

كتبـــتُ إلى روحـــي بغـــير كتـــابِ

وذلـــك أن الـــروح لافـــرق بينهـــا

وبـــين محبِّيـــها بفصـــل خطـــاب

وكـــل كتـــابٍ صـــادرٍ منـــك واردٌ

إليـــك بـــلا ردِّ الجـــواب جـــوابي

(١) في البيت الأخير، وردت، (وهو هو بدء لبدء البدايا)، ألغينا كلمة لبدء.

أرسلت تسألُ:

أرسلت تسأل عني كيف كنتَ وما

لقيتُ بعدك من همٍّ ومن حزنٍ[1]

لاكنتَ إن كنتُ أدري كيف كنتُ ولا

(لاكنتُ) إن كنتُ أدري كيف لم أكنِ

كن لي:

كن لي كما كنتَ لي في حين لم أكن

يا من به صرتُ بين الرُّزء والحزن

(١) قيل أنها لسمنون والوثائق الأخيرة تثبتها للحلاج.

٢-العبارة والموقف:

نظري:

نظـــــري بـــــدء عـــــلّتي ويـــح قلبـــي ومـــا جنـــا[1]
يـــا مُعـــين الضـــنى عـــليّ أعـــنِّي عـــلى الضـــنى

من أطلعوه:

مـــن أطلعـــوهُ عـــلى سرٍّ فبـــاح بـــه
لم يـــأمنوهُ عـــلى الأسرار مـــا عاشـــا

---

(١) على وزنه جاءت القصيدة الرائعة لإحمد عبد الرحمن الآنسي:

جلّ من نقّس الصباح وبسط ظله المديد

وهي من مجزوء البحر البسيط، ومعروفٌ أن المجزوء للبيت هومن شأن الشاعر الذي اخترعه، والشعراء قد يجزئون البيت بحسب ذوقهم وقريحتهم، أو يمدُّونه أويجعلون له مخلعاً أو مجرد تفعيلة أو تفعيلتين أو ثلاث، كما في اشعارنا الحديثة، وهنا دليل تأثر قوي للمدرسة الشعرية الآنِسِيّة.

أما المجزوءات في الشعر الغنائي اليمني بالذات فهي أكثر من أن تحصر، ومعظم الغنائيات مكونة من صدرطويل وعجز مجزو أو العكس أو صدر معين وعجز مجزوء ثم عجزآخر طويل أوقصير وقد يسمى ذلك بالتوشيح والتقفيل بقصد إلهام الفنان الملحن، لاستنباط تقاسيم طربية عديدة تبعد الملل والرتابة.

مثل آخر أغنية: جفنه علم الغزل

وحتى قصيدتي:

ثورتي ثورة الغبار غضبة الريح في الصخور

ولا زلت لاأدري كيف كان تأثري ومن أين وقد كتبتها في الثمانينات من القرن الماضي، أما التأثر بهذا المعنى، فقد جاء على لسان العديد من الشعراء الكبار:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

لأبي تمام.

نظـــــرةٌ فابتســـــامةٌ فســـــلامٌ فكـــــلامٌ فموعـــــدٌ فلقـــــاءُ

لشوقي

وعاقبـــوه علـــى ماكـــان مـــن زلـــلٍ

وأبـــــدلوه مكـــــان الأنـــــس إيحاشـــــا

وجـــانبوه فلـــــم يصـــــلح لقـــــربهمُ

لمّـــــا رأوه عـــــلى الأسرار نبـــــــاشا

مـــن ســـاروهُ فأبـــدى كلـــما عرفـــوا

ولم يُـــراع اتصـــالًا كـــان غشاشـــا[1]

مـــن أطلعـــوهُ عـــلى ســـرٍّ فنـــمَّ بـــه

فـــذاك مـــثليَ بيـــن النـــاس طيَّاشـــا

إذا النفـــوس أذاعـــت ســـرما علـــمت

فكـــل مـــا حملـــت مـــن عقـــلها جاشـــا

هـــمْ أهـــل سرٍّ ولـــلأسرار قـــد خُـــلقوا

لا يصبـــــرون عـــــلى ماكـــــان فحاشـــــا

لا يقبلـــــون مـــــذيعًا في مجـــــالسهم

ولا يحبـــون ســـترًا كـــان وشـــواشا

---

(١) هذا النص الجميل والمبتدع القافية، رغم صعوبتها فقد جاء مملوءاً بالمعاني والأخيلة وهو يتحدث عن الأمانة وكتمان السر وقد رأيت تعديل بعض العبارات ليستقيم المعنى مثل عرفوا، جاشا، يفض، وأعدتُ ترتيبها لأنها كما سبق وجدت في مخطوطات عديدة وحذفتُ بيتين، لأنها ربما صُحِّحت وصيغت بصورة أجمل فيما بعد.

هذا وكان الحلاج في هذا النص إنما يعاتب نفسهُ، أو يدافع عنها، فهو الذي أتُّهم من الصوفية من بعده بأنه أفشى سرّهُ، بينما حافظ عليه الآخرون.

وهذا ما أدى إلى حتفه، تأمّل كلمة (فذاك مثليَ) لتدل على ذلك.

لا يصـــطفون مضـــيفًا يفـــضِ سرهـــمُ
حـــاشا جلالهـــمُ مـــن ذلكـــم حاشـــا
فكـــن بهـــم ولهـــم في كـــل نائبـــةٍ
إليهـــمُ مـــا بقـــى ذا الـدهـــر هشاشـــا

سكوتٌ ثم صمتٌ:

سكوتٌ ثم صمتٌ ثم خرسُ وعلمٌ ثمّ وجدٌ ثُمّ رمسُ[1]
وطينٌ ثم نارٌ ثم نورٌ وبردٌ ثم ظلٌ ثم شمسُ[2]
وحزنٌ ثم سهلٌ ثم قفرٌ ونهرٌ ثم بحرٌ ثم يبسُ
وسكرٌ ثم صحوٌ ثم شوقٌ وقربٌ ثم وفرٌ ثم أُنسُ
وقبضٌ ثم بسطٌ ثم محوٌ وفرقٌ ثم جمعٌ ثم طمسُ
وأخذٌ ثم ردٌ ثم جذبٌ ووصفٌ ثم كشفٌ ثم لبسُ
عباراتٌ لإقوام تساوت لديهم هذه الدنيا فلسُ
وأصواتٌ وراء الباب لكن عبارات الورى في القرب همس
وآخر ما يؤول إليه عبدٌ إذا بلغ المدى حظٌ ونفسُ
لأنّ الخلق خدام الأماني وحقّ الحقِّ في التحقيق قدسُ

(١) لعل هذه المقطوعة الرائعة خير مثال على اهتمام الحلاج بجدلية الثنائية الوجودية، وربما تكون الدافع الرئيسي للبحث في هذا الموضوع.

(٢) تعديل كلمة (بردُ) في البيت الثاني.

أبياتٌ مفـردة:

ألقـــاه في البحـــر مشـــدودًا وقـــال لـــه

إيـــــّاك إيّـــــاك أن تبتـــــلّ بالمـــــاءِ

(بسيط)

مثالـــك في عينـــي وذكـــرك في فـــمي

ومثـــــواك في قلبـــــي فـــــأن تغيـــــبُ

(طويل)

خيالـــك في عينـــي وذكـــرك في فمـــي

وحبُّـــك في قـــلبي فـــأين تغيـــبُ

(طويل)

بالسرِّ إن باحـو تُباحُ دماؤهم وكـذا دمـاء البـائحين تبـاحُ

(كامل)

فـــقلتُ أخلائـــي هـــي الشـــمس نورهـــا

قريـــبٌ ولكـــن في تنـــاولها بُعـــدُ

(طويل)

قـد كنـتُ في نعمـة الهـوى بطـرًا فـأدركتني عقـوبة البطـرِ

(منسرح)

شرط المعـــارف محـــو الكـــل منـــك إذا

بـــدا المديـــد بلحـــظٍ غيـــر مُطَّلـــع

(بسيط)

ذكـــره ذكـــري وذكـــري ذكـــره

هـــل يـــكون الـــذاكران إلا معـــا

(رمل)

لاتعـــرِّض بِنـــا فهـــذا بنـــانُ قد خضبنـاه بـدم العشَّـاقِ

(خفيف)

كـــلُّ بـــلاءٍ عـــليَّ منِّـــي فليتنـي قـد أخـذتُ عنِّـي

(مجزوء خ)

عـــقد الخلائـــق في الإلـــه عقائـــدًا

وأنـــا عقـــدتُ جميـــع مـــا اعتقـــدوهُ

معظم هذه الأبيات قد سرت مسرى الحكمة، وتناولها ويتناولها إلى الآن العديد من الأدباء والكتاب والوعاظ في خطبهم، بعد عبارة قال الشاعر وبعضهم يعرف من هو القائل، كما أنها ليست بحاجة للتنويه عن بلاغتها وفصاحتها، وجرسها اللطيف، ولا أظن أنها قد جاءت هكذا لوحدها، فهي إما أجزاء من قصائد كبيرة، أو استهلالات لقصائد عظيمة، ومثل هذه الأبيات

لاتخطر في بال الشاعر إلا بعد مجاهدة شعرية واضحة، تتلف الكثير من خلايا المخ والأعصاب.

دلالٌ ياحبيبي:

د لالٌ يـــاحبيبي مستعـــارُ دلالٌ بعـد أن شـاب العـذارُ
ملكـت وحرمـة الخلـوات قلبًـا لعبـت بـه وقَـرَّ بـه القـرار
فـلا عـينٌ يؤرقهـا اشتيـاقٌ ولا قلـبٌ يقـلقـله ادِّكـارُ
نزلـتَ بمنـزل الأعـداء منـي وتُـبتَ فـما تـزورُ ولا تُـزار
كـما ذهـب الحـمار بـأم عمـرو فلارجعـت ولارجـع الحمـارُ

غوصٌ بديعٌ في خفايا النفس البشرية، وتعكسُ تجربةً مُعاشة، والبيت الأخير وقد سرى مسرى المثل.

أدنُ منِّي:

أدنُ منـــــي ولا تخـــــافنَّ غـــــدري
لـــيس يخشـــى الخليـــل غـــدر الخليـــلِ
إنَّ أدنـــــى الـــــذي ينالـــــُك منـــــيِّ
سِـــــترُ مـــــا يُتـــــقى وردُّ الجميـــــلِ

هبني ادعيتُ:

هبْنِـــي ادّعيـــتُ بـــأني مُـــدنفٌ ســـقِمٌ

فـــما لمضـــجع جنْبـــي كلـــه حَسَـــكُ[1]

هجـــرٌ يســـؤء ووصـــلٌ لا أسرُّ بـــــه

مـــا لي أدورُ بـــما لايشـــتهي الفَلَـــكُ

فكلـــــما زاد دمعـــــي زادني قلقـــــا

كـــأنني دمعـــة تبـــكي فتنْسَـــبِكُ

طلبتُ المستقر:

طلبـتُ الـمستقـر بكـل أرضٍ فلـم أر لي بـأرضٍ مسـتقرا[2]

فنلـتُ مـن الـزمان ونـال منـي وكـان منالـه حلـوًا ومُـرا

أطعـتُ مطـامعي فاسـتعبدتني ولـو أني قنعـتُ لكنـتُ حُـرًّا

النفس للشيئ:

الـنفس للشـيئ المُمَنَّـع مولعـةْ والحـادثات أصـولها متفرعـةْ[3]

والـنفس للشـيئ البعيـد مريـدةٌ والـنفس للشـيئ القريـب مضـيعة

كـلٌ يُحـاول حيلـة يرجـو بهـا دفع المضـرّة واجتـلاب المنفعة

---

(١) نسبها كتاب ماسينون لأبي العتاهية رغم اختلافها الواضح عن أسلوبه.

(٢) أيضاً صنفت ضمن القصائد المستعارة بحسب ماسينون لأبي العتاهية.

(٣) ذكر ما سينون أنها قد تنسب لأبي العتاهية.

ياذا الذي:

يـاذا الـذي تـرك السـلام تجنُّبًـا ... لـيس السـلام بضـائرٍ مـن سـلّما

إنّ السـلام تحيـة مـبرورةً ... ليست لتُـكسب قائليها مـأثما

مالي جُفِيتُ:

مـالي جُفِيـتُ وكنـتُ لا أُجْفَـى ... ودلائـل الهجـران لا تُخْـفَى[1]

مـا لي أراك تركتنـي بطـرًا ... ولقد عهـدتكَ تـذكـرُ الإلفَا

وأراك تمزُجُنِـي وتشـربُنِي ... ولقـد عهـدتك شـاربي صرفـا

٣- التدين والتصوف:

قلوب العارفين:

قـلوب العاشـقين لهـا عيـونٌ ... تـرى مـالا يـراه الناظرونـا

وألسـنةٌ بأسـرارٍ تنـاجي ... تغيب عـن الكـرام الكاتبينا

و اجنحـةٌ تطـير بـلا جنـاحٍ ... إلى ملـكوت رب العالمينـا

وترتـع في ديـار القـدس طُهـرًا ... وتسـبح في بحـار العارفينـا

عبـادٌ أخلصـوا لله حـتى ... دنَـوْا منـه، وكـانوا واصـلينا[2]

---

(١) قيل أنها لجنيد البغدادي الذي يبدو أنه من ورثة تراث الحلاج الممزق.

(٢) هذا الروي إنما يذكرنا بقصيدة (أضحى التنائي بديلاً عن تلاقينا)، لإبن زيدون ومعارضتها في قصيدة شوقي (يا نائح الطلح أشباح عوادينا). وقد نسبت لسهل التستري.

إذا دهمتكَ:

إذا دهمـــتك خيـــول البعـــاد ... ونـادى الإيـاس بقطـع الرجـا
فخـذ في شـمالك تـرس الخضـوع ... وشُـدّ اليمـين بسـيف البكـا
ونفسـك، نفسـك كـن خـائفًا ... على حـذر مـن كميـن الجفـا
فـإن جـاءك الهجـر في ظلمـة ... فـبِرْ في مشـاعل نـور الصـفا
فقـل للحبيـب تـرى ذلتـي ... فجُـد لي بعفـوك قبـل اللقـا
فـو الـحب لاتنثـني راجعـا ... عـن الحـب إلا بعـوْض المنـى[1]

لا تسأمن:

لاتسأمـــن مقالتـي يـا صـاح ... واقبـل هـدية ناصـح نصّـاح
لـيس التصـوف حيـلة وتكلّفًـا ... وتقشـفًا وتواجـدًا وصيـاح
لـيس التـصوف كـذبة وتظالمًـا ... وجهالـة ودعايـة ومـزاح
بـل عفـة ومـروءة وفتـوة ... وقناعـة وطهـارة وصـلاح
وقفًـا وعلـمًا واقتـدا وصفـا ... ورضًـا وصـدقًا ووفـا وسـاح
متيقنًـا متصبـرًا متشـمرًا ... مستمـطرًا متقصـدًا سمـاح
متعـززًا متـحرزًا متواضـعًا ... متبـدل الأشـباح والأرواح
تـاء التقـى صـاد الصـفا واو الوفـا ... فـاء الفتـوة فـاغتنم ياصـاح

(١) الأسلوب التقريري، والإنشائي، والوعظي في هذه القصيدة يجعلنا نشك أنها من شعر الحلاج، وإن كانت منسوبة إليه.

من قام فيه بحقه وحقوقه وخلا عن الحدثان والأشباح

تتشعشع الأنوار من أسراره كتشعشع الأنوار في المصباح[1]

وكم تشتكي:

وكم تشتكي ضد اشتياقك في الهوى

وأنت قريبٌ، والمراد بعيدُ

فكن للأسى والسقم والحزن والبكا

حليفًا وإن آذاك منه لدودُ

سلام على قلب وروح ومهجةٍ

سُقين بكاس الودّ فهي تريد

تفكرت في الأديان:

تفكرتُ في الأديان جدّ محقِّقٍ فألفيتها أصلًا له شُعبٌ جمّا

فلا تطلبن للمرء دينا فإنه يصُدُّ عن الأصل الوثيق وإنما

يُطالبه أصلٌ يُعبِّر عنده جميع المعالي، والمعاني فيفهما[2]

---

(١) بعض النسخ تنسب هذ المقطوعة إلى أبي نصر السراج (طاووس الفقراء) ٣٧٨هـ وفي رأينا أن ذلك هو الأرجح، لاعتماد الأسلوب التقريري الذي لم نعهده في شعر الحلاج، وهو الباحث عن الحقيقة حتى آخر أيامه وإن وردت فيها لفظة الشعشعة التي عيبت عليه واعتبرت تجديفاً في الفصحى، وتورطاً في اشتقاقاتها.

كما أننا لم نجد في موضع آخر محاولات للحلاج لتعريف الصوفية، أواعتزازاً بالتصوف، والحث عليه، فهو قد كان يمارسها عملياً، كما يمارس مواضيع أشعاره الأخرى في واقعه المعاش الحائر.

(٢) ينسب البيت الأول للمتنبي في بعض المراجع، ولكن لم نعرف أن المتنبي قد أصّل لمسألة الدين أصولاً، فقد كان يتحاشاها، وإنما للتفكر في الدنيا كقوله:

ومن الجدير هنا ملاحظة الفرق بين التلميح الذي أشار إليه الحلاج والتصريح الذي أشار إليه ابن عربي، وغيره، في مسألة النظرة إلى الأديان، ووحدة الوجود، والنظرة إلى الوجود، وعالم الغيب، والشهادة، وهؤلاْ جميعًا لم يحاكموا كما حُوكم الحلاج، وإنما اختلفت وجهات النظر حولهم:

يقول ابن عربي:

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلًا كل صورة
فمرعى لغزلان وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبة طائفٍ
وألواح توراةٍ ومصحف قرآن
أدينُ بدين الحب أنَّى توجهت
ركائبهُ فالحب ديني وإيماني

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شَجَبٍ والخُلفَ في الشَّجبَ
فقيل تخلد نفس المرء باقية
وقيل تُشرَكُ نفس المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجتهِ
أقامه الفكر بين العجز والتعب

ويقول:

فلـــم يبـــق إلا صـــادق الوعـــد وحـــده

ومـــا لوعيـــد الحـــق عـــين تعـــاينُ

وإن دخلـــــوا دار الشـــــقاء فإنهـــــم

عـــــلى لـــــذة فيهـــا نعـــيم مبـــاينُ

نعـــيم جنـــان الخلـــد والمـــر واحـــدٌ

وبيـــنهما عنـــد التجـــلي تبـايـــنُ

يســـمى عـــذابًا مـــن عذوبـــة طعمـــه

وذاك لـــه كالقـــشر والقـــشر صـــائنُ

ويقول:

ياخـــالق الأشـــياء في نفســـه أنـــت لمـــا تخلقـــه جامـــعُ

تخلـــق مـــالا ينتهـــي كونـــه فيك فأنـت الضيق الواسعُ

الجيلي:

ومـــا الخلـــق في التمثـــال إلا كثلجـــة

وأنـــت بهـــا المـــاء الـــذي هـــو نـــابعُ

ومـــا الـــثلج في تحقيقنـــا غيـــر مائـــه

وغـــيران في حكـــم دعتـــه الـــشرائع

ولكــن بِــذوْب الثلــج يرُفــع حكمــه

ويوضــع حكــم المــاء والأمــر واقــع

تجمعت الأضداد في واحـــد البهـا وفيه تلاشـت وهـو عـنهن سـاطع وأسـلمت نفسي حيث أسلمني الهوى وما ليَ عن حكم الحبيب تنـازع

فطورًا تراني في المســاجــد عاكفًا وإنـيَ طــورا في الكنائس راتعُ

ذاكنتُ في حكم الشــريعة عـاصيا فــإنيَ فـي علـم الحقيقـة طائـع

إبن عجيبة –وهوفاطمي يقول:

أربٌّ وعبــدٌ، ونفــيُ ضــدٍّ قلـتُ لـه لـيس ذاك عنـدي

فقــال مــا عنــدكم فقلنــا وجـود فقـدٍ، وفقـدُ وجـدِ

توحيــد حــقٍّ بتــرك حــقٍّ وليس حقٌّ، سـواي وحـدي

الدمرداش:

لقـد كنـتُ دهـرًا قبـل أن يكشـف الغطـا

إخالــــك أني ذاكــــرٌ لــــك شــــاكرُ

فلــما أضــاء الليــل أصــبحت شــاهدًا

بأنــــك مذكــــورٌ وأنــــك ذاكــــرُ

حسن رضوان – فاطمي الهوى من قصيدة روض القلوب:

فللوجـود الحـق يثبـت القـدم ويستحيل ضـده ثـمّ العـدم

فليس في الوجود شيءٌ يشهد ... سواه فالأشيا به تُوحد

والكثرة الموجودة الموهومة ... في ذاتها لوحدة معدومة

والحق في الأشيا جميعا ظاهرُ ... وسرّه قامت به المظاهر

وكل ذرة من الذرات تنبي ... بأن الكل عين الذات

فوحدة الوجود لا تُفارقُ ... شيئًا ولكن يُستفاد الفارقُ

فبالحدوث والفناء يوصف ... إذًا، ولا يضرُّ أن يُعرّفُ

ولا يزال نوره يزيد ... حتى لديه يكمل التوحيد

وسر وحدة الوجود ينكشف ... لعينه ومنه ذوقا يرتشف

فتضمحل الكثرة المشهودة له ... بنور الوحدة المقصودة

فلا يرى بعينه الموحِّدة ... في الكون غير ذات واحدة

وفيها:

وإن تجلى جل شأنه على ... وليِّه بقدرة تجملا

وشاهد الأشياء تحت قبضته ... وأنها تكونت عن قدرته

شهود غيب غير أنه ظهر ... عليه منه في الشهادة الأثر

ومن هنا أحوال أرباب الهمم ... كمشيهم فوق المياه بالقدم

أو الهواء أو على السحاب ... أو طيٍّ أو خبر من التراب

أو غير هذا من أمور خارقة ... لعادة والشرط ان توافقه

طاب السماع:

طـــاب الســـماع وهبَّـــت النســـماتُ

وتواجـــــدت في حانهـــا الســـاداتُ

ســـمعوا بـــذكر حبيـــبهم فتهتكـــوا

خلعـــوا العـــذار ودارت الكاســـات

طربـــوا فـــطابت باللقـــا أرواحهـــم

كتمـــوا فبانـــت مـــنهمُ حـــالات

شربـــوا بأقـــداح الصفـــا لمـــا صفـــوا

ســـكروا فلاحـــت مـــنهمُ رقصـــاتُ

ظهـــرت علـــيهم مـــن بواطـــن ســـره

كاســـات بِشـــرٍ كلهـــا راحـــاتُ

هطلـــت مـــدامعهم عـــلى وجنـــاتهم

وتصـــاعدت مـــن شـــوقهم زفـــرات

زاد الغـــرام بهـــم وفي أحشـــائهم

نـــارٌ وفـــي أكبادهـــم جمـــراتُ

فتعطـــرت ريـــح الصَّـــبا مـــن عطـــرهم

وسرتْ بنـــشر روائـــح، نفحـــاتُ

سلام على قوم:

مـــافي صـــفاتكِ عنـــد السّـــرِّ منـــه يُـــرى

لاشـــيءَ عنـــدك موجـــودٌ إذا وجـــدا

فبـــادري قبـــل أنْ تَبقَـــيْ مشـــردةً

عـــن التقـــدُّسِ والعفـــو الـــذي حُـــمـــدا

فأنـــت جـــوهر ذاك الأصـــل فـــانتهجي

منـــاهج الحـــق والخـــير الـــذي قُصـــدا

لا تصـــحبنِّ مـــن الأشبـــاح ســـائمةً

ولا تعـــــودي إلى إنســـــيّةٍ أبـــــدا

ســـلامٌ عـــلى قـــومٍ شـــموسُ هـــدىً غـــدا

بهـــم في الهـــوى سُـــكرٌ إلى حشـــرهم غـــدا

أدار علـــــيهم كـــــاس راحِ محبـــــة

جمـــال ســـقى الأحبـــاب لمـــا لهـــم بـــدا

بـــه هـــام بعـــض في الـــرأي وبعضـــهم

بـــــه ولـــــه ظنـــــوا جنـــــونا فَقُيِّـــــدا

وبعـــض عـــن الأكـــوان بـــانَ وبعضـــهم

بـــهِ جـــاوز الإســـكار حـــدًّا فعربـــدا

فســـلَّ عليـــه الشـــرع ســـيفًا حـــَمى بـــه

حـــدودًا فـــرى الحـــلاج مـــاضٍ مُـــردِّدا

فـــمات شـــهيدًا عنـــدكم مـــن محقـــق

وكـم عنـدكم يخـرجْ عـن القـوم مُلحـدا

ولكـــن فتـــى بســـطام مـــوقىً بحـــاله

حمـــى عـــن عنايـــات عـــزيزًا مُمُجّـــدا

المقطوعة الثانية (سلام على قومٍ) من الواضح أنها تتحدث عن الشهيد الحلاج، وبالتالي فهي ليست من قوله، وتنسب (ليافي)، ومن المناسب هنا أن نورد هذه القصيدة لشاعر إسمه حريفش مكّي، وهي على ما يبدو بالشعر القصصي الروائي الشعبي.

حريفش مكّي: قصة الحلاّج

الخمـــــرُ دِنّي ودِن الخمـــــر ريحانـــــي

ومجلـــس الـــذكر تســـبيحي وعيدانـــي

مـــا يشـــرب الخمـــر إلّا مـــن يكـــن بَطَـــلًا

ويطلـــق النـــوم لم تغمـــض لـــه أجفـــاني

طلّقـــتُ نـــومي ولم اســـلا حلاوتـــه

حتّـــى بقـــي جفـــن عينـــي ســـاهرًا فـــاني

أنـــا الحســـين أنـــا الحـــلّاج يـــا فقَـــراء

ذوبّـــتُ ســـندانَهم مـــن عظـــم برهـــاني

أنـــا الـــذي شـــاع ذكـــري بـــالملا الأعـــلى

حلجـــتُ قطنـــي بتقـــواي وإيمـــاني

البــاز الأشــهبْ أتــى نحــوي صــافحني

والأوليـــاء أتـــت مـــن أرض جـــيلانِ

شربــت مــن خمــرة عــن بكــرة مُزِجَــت

شِــبه العــروس انجلــت في وســط بســتانِ

ابــن الرفــاعي رقــا وقتًــا بهــا وعــلا

وابــن أدهــم ســيّبْ مُلكــه الفانــي

افتــوا عــلّي وقــالوا قــد طغــى و بغــى

حاشــا مــن البغــي لكــن صرتُ ربّانــي

طَلْــع المــؤذّنْ يــوذّنْ قلــت مــا حكيــتْ

انّي ســمعت لــدِيك العــرش بــآذاني

مــن خــاض بحــر الهــوى مــن غــير معرفــة

يبلعــه الحــوتُ يبقــى يــونس الثانــي

مــن خــاض بحــر الهــوى يُخــرجْ جواهرهــا

ألا ينــادي عليــه يــا بطّــال كســلاني

مــن بــاع دُرًا إلى الفحــام ضَيَّــعْهُ

الــدر ينبــاعُ بالقســطاس يــا إخــواني

لا تَخْــدَعَنَّ قليــل الأصــل تظّــلمه

وأغلــظْ عليــه طوعًــا بإذعــان

إنّ الحديـــدَ تـــذيب النـــار قوّتـــه

ولـــو ســـكبتَ عليـــه البحـــر مـــا لانِ

يـا طالـب النّصـرِ مـن أعـداك مُـتْ كَمـدًا

كطالـــب الشَّهْـــدَ مـــن أنيـــاب ثعبـــانِ

يـــا قـــارئ العلـــم بيـــن الجـــاهلين خَطـــأ

كواقـــد الشـــمع في قاعـــات عميـــان

يـا واضـع الـسرّ مـع مـن لـيس يكْتمـه

كواضـــع الـــريح في أكـــمام عريـــانِ

مـــن بـــاح بالســـرّ كـــان القتـــل شـــيمته

بـــين الرجـــال ويُضـــحى اليـــوم خجـــلانِ

شـــدّوا وثـــاقي وقـــالوا اقتلـــونّ لـــه

حـــلّاج حـــلّاج أنـــت في البلـــدْ زانـــي

واللهِ واللهِ والـرحـــــــمن خـالقنـــــــا

لـــولا يقولـــوا دعـــا الحـــلاج بهتـــانِ

أصـيح فـيهم كـما صـاح الفَتَـى البَـدَوي

وأهـــدم بغـــداد مـــا خـــلا لهـــا أركـــانِ

لكـــن سمعـــت رجـــال الله قـائلـــهْ

فمُـــتْ شـــهيدًا كـــما مـــاتَ ابـــن عفـــانِ

والخضـــر واقـــفْ قبـــالي لا يكلّمـــني

والأربعـــين يقولـــوا هكـــذا كـانـــي

حتّـى أتـى القطـب والأقطـاب تـتبعه

ثـــلاث مائـــةْ وهـــم يتلـــون قرآنـــي

أنـا مكتَّـفْ وسـيف الشـرع يلفحْنـي

ســبعين مــرّةْ بـــأذن الله مـــا ذانـــي

صرخـتُ بالسـيف قـال السـيف ألـفْ نعـمْ

لبّيـــك لبّيـــك يـــا حـــلاجُ يـــا دانـــي

وهـــذه قصّـــة الحـــلّاج قـــد فرِغَـــتْ

هـــم أحرقـــوه وكـــانوا الكـــل عميـــانِ

بعـــد الصـــلاة علـــى المختـــار سيّدِنـــا

خـير البريّـةْ بُعـثْ مـن نسْـل عـدنانِ

والمســـلمين عليهـــم دائـــمًا ابَـــدًا

منّـــي ســـلامٌ فـــهمْ أهـــلي وجيرانـــي

الجمع أفقدهم:

الجمـع أفقـدهم مـن حيـث هـم قـدما

والفــرق أوجـــدهم حينًـــا بـــلا أثـــر

فاتـــت نفوسهـــم والفـــوتُ عنـــدهم

في شاهـــد جمـــعوا فيـــه عـــن البـــشر

وجمعهـــم عـــن نعـــوت الرســـم محـــوهم

عـــما يؤثـــره التلويـــن في الغِيـــر

والعـــين حـــال تـــلاشت في قديمهـــم

عـــن شـــاهد الجمـــع إضـــمارا بـــلا صـــور

حتـــى تـــوافى لهـــم في الفـــرق ماعطفـــت

علـــيهم مـــن علـــوم الوقـــت في الحضـــر

فـــالجمع غيبـــتهم والفـــرق حـــضرتهم

والوجـــد والفقـــد في هـــذين بالنـــظر

هدانا لدين الحق:

هـــدانا لـــدين الحـــق مـــن قـــد تـــولّهْتْ

لعزَّتـــــهِ ألبابُنـــــا ولـــــه هُـــــدنا

فمـــن كـــان يبغـــي الســـير في الجانـــب الـــذي

تقـــدس يـــأتي الآن يأخـــذه عنـــا

٤- الذات والوجود:

شهدتُ حقيقتي:

شهدتُ حقيقتي وعظيم شاني مقدسة عن إدراك المعاني
فقال مترجمًا عني لساني أنا القرآن والسبع المثاني
وروح الروح لا روح الأواني
أنا في مستوى عرشي قديمُ لذي آنيّتي العظمى نديمُ
وفي بلوى محبتكم أهيمُ فؤادي عند معلومي مُقيمُ
يناجيهِ، وغيرُكُمُ لساني
سَتَرتُ حقيقتي عن كل فهمِ بما أظهرتُ من وشْمٍ ورسمِ
فإن تطلبْ ترى صفتي مع فلا تنظر بطرفك نحو جسمي
وعدِّي عن نعيمٍ بالمعاني
وللطلسم في العينين كسِّرْ وحققْ سرَّ معنائي وحَرِّرْ
وللمسجور من بحري فبحِّرْ وغُصْ في بحرِ ذاتِ الذاتِ تُبصر
عجائب ليس تبدو للعياني
فإن شاهدتني في كل ذاتِ بأسمائي عيانًا في صفاتي
ستفهم ما خفي في الكائنات وأسرارًا تراءتْ مُبهماتِ
مُستَّرةً بأرواح المعاني
فمن أوْرَى زناد الحق رُدَّت حقيقته، وعنهُ الباب سُدَّتْ

وكعبتـه بفـأس الشـرع هُـدت كحـــلاج المحبـــة إذ تبـــدَّتْ

لـــــــــه شـــــــــمس الحقيقـــــــــة بالتـــــــــداني

فعنـــد شـــهودك الأسرارَ منهـــا فـــلا تـــكُ غائبًـــا في الكـــون عنهـــا

ووحِّـــد واتحـــد كيمـــا تكُـــنْها فمـــن فهـــمَ الإشـــارة فليصُـــنها

وإلاَّ ســـــــــــــوف يُقتـــــــــــــل بالسنـــــــــــــانِ

فلـــما إن دنـــــى منهـــا تدلّـــى وبالاســـم العظيـــم وقـــد تجـــلّى

توحّـــدَ عنـــد ذاك ومـــا تـــولّى فقـــال بـــأنَّ الحـــقَّ الـــذي لا

يغـــــــــــيرُ ذاتَـــــــــــهُ مـــــــــــرَّ الـــــــــــزَّمانِ[1]

---

(١) نلمس هنا تأثر المتنبي بهذا الشاعر أو على الأقل يكون قد قرأه، يتضح ذلك في قصيدته (مغني الشعب طيبا في المغاني) و(على قدرالهوى يأتي العتابُ)، غير أنها ليست مخمسة وكذلك المعنى المستنبط في، كلما أنبت الزمان قناةً ركّب المرء في القناة سنانا أن معظم الأغاني اليمنية قد نهجت هذا النهج، أوعلى نمط هذه التقفية مع تغيير حرف الرويّ في البيت الرابع أو الخامس أو ما يسمونه البيت، والتقفيل والتوشيح، سواءً كان ذلك رباعياً أو خماسياً، كما في قصيدة:

واشـــاري البـــرق مـــن تهامـــة رويـــــدك اللمـــــع والخفـــــوق

حليـــت قتـــل الشـــجي ظُلامـــة قـــــام يســـــألك علـــــم لا يعـــــوق

فكـــان جوابـــك عليـــه حمامـــه مـــــا هكـــــذا تفعـــــل البـــــروق

أبراك ربي وسامحك

فيما فعلته بلا مِحك

وهذه القطعة تؤيد ما نحن بصدد إثباته في هذه الدراسة، وبشكل صريح، من علاقة نمط وتوزيع الأغنية اليمنية بهذا العصر، وسواءً كانت هذه القصيدة للحلاج أو لغيره. ذكر ماسينون أنها للششتري ومستوحاة من قصيدة لإبن عربي

لم يبق بيني:

لم يبـقَ بينـي وبـين الحـقِّ تبيـانِ ولا دلـيلٌ، ولا آيـاتُ برهـان
هـذا تجـلِّي طلـوع الحـق نائـرةٌ قـد أزهـرت في تلألـيهـا بسـلطان
لايعـرف الحـقَّ إلاّ مـن يُعـرِّفـهُ لايعـرف القِـدمِيُّ المُحْدَث الفـاني
كـان الـدليل، لـه، منـه، إليـه، بـه مـن شـاهد الحـق في تنزيـل قـرآن
لا يُسـتَدلُّ عـلى البـاري بصنعتـه وأنتـم حُـدثُ، يُنْبِـي بـأزمـان
هـذا وجـودي وتصـريحي ومعتقـدي هـذا توحُّـد توحيـدي وإيمـاني
هـذا عبـارات أهـل الانفـراد بـهِ ذوي المـعـارف في سرٍّ وإعـلان
هـذا وجـود وجـود الوجـد أيـن لـهُ بني التجانس: أصحابي وخلاني[1]

---

(١) لا حظ الاقتباس: لايعرف الشوق الا من يكابدهُ ولا الصبابة إلاّمن يعانيها لا يسهر الليل الا من به ألمٌ لا تحرق النار إلاّ رجل واطيها من قصيدة مطلعها:

رضاك خيرٌ من الدنيا وما فيها وأنت للنفس أشهى من تمنيها

وهي من إحدى المعارضات الكثيرة لقصيدة الحلاج، (الله يعلم ما في النفس جارحة إلا وذكرك فيها نيلُ ما فيها) التي سيأتي ذكرها.

قد تحققت في سري فناجاك لساني

قـد تَحَقَّقْـتُ فـي سـرّي فتناجـاك لسانـي
فاجتمعنـا بمعـان وافترقنـا لمعـان
فلـئن غَيَّبـك العـزّة عـن لحـظ العيـان
فلقـد صـيّرك الوجـدُ مـن الأحشـاء دانٍ

نسبت للجنيد البغدادي أيضاً.

لأنوار نور الدين:

لا أنــوار نــور الــدين في الخلــق أنــوارُ
وللـــــــــسرِّ في سِرِّ المســـــــــرِّين أسرارُ
وللكـــون في الأكـــوان كـــونٌ مكـــوّنٌ
يَكـــنُّ لـــه قلبـــي ويهـــدي ويختـــارُ
تأمــل بعــين العقــل مــا أنــا واصــفٌ
فللعقـــل أسمـــاعٌ وُعـــاةٌ وأبصـــارُ

وما وجدت لقلبي:

ومـــا وجـــدتُ لقـــلبي راحـــةً أبـــدا
وكيـــف ذاك وقـــد هبـــيَّتُ للكـــدرِ
لقـــد ركبـــتُ عـــلى التغريـــر واعجبًـــا
مـــمن يريـــد النجـــا في المســـلك الخطـــر
كـأنـــني بـــين أمـــواجٍ تقـلبـــني
مُقـــلّبٌ بيـــن إصعـــادِ ومنحـــدر
فالنـــار في مهـــجتي والنـــار في كبـــدي
والـدمع يشـهدُ لي فاستشـهدوا بصـري[1]

(١) تنسب أيضاً لأبي العتاهية بحسب ماسينون.

وجوده بي:

وجـــوده بي ووجـــودي بـــه ووصـفه فهـو لـه واصـفُ

لـــولاهُ لم اعـــرف رشـــادي ولـولايَ لَمـا كـــان لـه عـارفُ

فكـل معنـىً فيـه معنـــىً لـــهُ فقـل لمـن خـالفني خالفـوا

لـيس سـوى الـرحمن يـا قومنـا شيءٌ لـــه أرواحنـــا تـــألفُ

عجبت لكليِّ:

عجبـــتُ لكـــلِّي كـــيف يحملـــهُ بعضـــي

ومـن ثقـــل بعضـــي لـيس تحملنـي أرضي

لـئن كـان في بسـط مـن الأرض مضـجعٌ

فبعضـــي عـلى بسـط مـن الأرض في قـبض

٥- الوجْد، والوجود:

مواجيد أهل الحق:

مواجيـد أهـــل الحـق تصـدرعن وجـدي

وأسرار أهـــل الســـرِّ مكشـــوفةٌ عنـــدي

ومـــا شـــرب العشـــاق إلا بقـــيتي

ومـــا وردوا في الحـــب إلاّ عـــلى وردي

الوجد يطرب:

الوجْـد يطـربُ مـن في الوجْـد راحتـه

والوجـد عنـد وجـود الحـق مفقـودُ

قـد كـان يوحشـني وجـدي ويؤنسـني

برؤيـة الوجـد مـن في الوجـد موجـود[1]

لقد أعجبني:

لقـد أعجبنـي الوجـدُ بمـن أهـواه والفقـدُ

فـلا بُعـدٌ ولا قـربُ ولا وصـلٌ ولا صَـدُّ

ولا فـوقٌ ولا تحـتُ ولا قبـلٌ ولا بَعـدُ

ولا عـرفٌ ولا نـكرُ ولا يـأسٌ ولا وعْـدُ

فهـذا منتهـى سُـؤلي وهـذا الواحـد الفـردُ[2]

مواجيد حق:

مواجيـد حـقٍّ أوجـد الحـقُّ كلَّهـا وإن عجـزت عنهـا فُهـوم الأكـابرِ

ومـا الوجـد إلاّ خطـرةٌ ثـم نظـرةٌ تُنشّـي لهيبًـا بـين تلـك السـرائر

إذا سـكن الحـق السـريرةَ ضُـوعفت ثـلاثة أحـوالٍ لأهـل البصـائر

فحالٌ يُبيدُ السـرِّ عـن كُنـه وصفـهِ ويُحضـره للوجـد في حـال حـائر

---

(١) منسوبة أيضا لجنيد البغدادي بحسن كتاب ما سينون الذي نشك بمصدر إصداره.

(٢) كلمة هذا بدلاً عن وهو في البيت الأخير، وهذا أقصى ضجر من الزمان والمكان والعلاقات والمتغيرات، وقد نسبها لنفسه القزويني بحسب ما سينون.

وحالٌ به زُمّت ذُرى السّرِ فانثنت إلى منظرٍ أفناهُ عن كل ناظرٍ

وجوده بي:

وجوده بي ووجودي به ووصفه فهو له واصفُ
لولاهُ لم اعرف رشادي ولولايَ لَما كان له عارفُ
فكل معنىً فيه معنىً لهُ فقل لمن خالفني خالفوا
ليس سوى الرحمن يا قومنا شيئٌ له أرواحنا تألفُ

تأمل الوجد:

تأملُ الوجْد وجْدُ والفقد في الوجد فقدُ
والبُعد لي منك قربٌ والقرب لي منك بُعدُ
وكيف يثبُتُ ثانٍ وأنت يا فردُ، فَردُ
فذاك قلبُ المعاني ولَيسَ من ذاك بُدُّ[1]
والشِّرْكُ إثبات غيرٍ والشِّركُ لا شك جَحْدُ
فجاء من ذاك أني بوصف غيرِي أُعَدُّ
أُعَدُّ في الناس مَولَىً لأ ننِي فيهِ عبْدُ

أبدى الحجاب:

أبدى الحجاب فذلّ في سلطانه عزُّ الرسوم وكل معنىً يخطر
هيهات يُدرك ما الوجود وإنما لهب التواجد رمز عجز يقهر

(١) المعاني بدلاً عن للمعاني في البيت الرابع.

لا الوجـد يـدرك غيـررسم داثـرٍ والوجـد يـدثُر حـين يبـدو المنظـر
قـد كنـتُ أطـرب للوجـود مروعـا طـورًا يغيبنـي وطـورًا أحضـر
أفنى الوجـود بشاهـدٍ مشـهودهُ أفنى الوجـود وكـل معنىً يـذكرُ

أنا سقيم عليل:

أنـــا ســـقيمٌ عليـــلٌ فـــداوني بدواكـــا
أجـري حشاشـة نفـسي في سـفن بحـر رضـاكا
أنـا حبـيسٌ فقـل لـي متـى يكـون الفكـاكا
حتـى بظـاهر روحـي مـا مَضَّـها مـن جفـاكا
طـوبى لعيـن مـحـبّ حيرتهـا مـن رؤاكـا
ولـيس في القلـب واللـب موضـعٌ لسـواكا

قضى عليه الهوى:

قضـى عليـه الهـوى أن لا يـذوق كـرىً
فبـات مكـتحلًا بالصـاب لم ينـمِ
يقـول للعيـن جـودي بالـدموع، فـإن
تبـكي، بجـدٍّ، وإلاّ، فلنَجُـد بـدمِ
فمـن شروط الهـوى أن المحـب يـرى
بـؤس الهـوى أبـدا أحـلى مـن الـنعمِ

لاحظ العلاقة بين هذه المقطوعة والتي مطلعها: إن الحبيب الذي يرضيه...
مما يشير إلى أنهما ضمن مطولة مفقود جزء منها، كما سيأتي.

وبدا لـه مـن بعـد مـا انـدمل الهـوى بـــرقٌ تـــألق موهنـــا لمعانـــهُ

رمانـــي بالصـــدود كمـــا تـــراني وألبسـني الغـرام وقـد بـراني

٦-السر والنجوى:

لبيك لبيك:

لبيـــك لبيـــك يـــا ســـرِّي ونجـــوائي

لبيـــك لبيـــك ياقصـــدي ومعنـــائي

أدعـوك بـل أنـت تـدعوني إليـك فهـل

نـــاديتُ إيـــاك أم ناديـــت إيـــائي

يـا عـين عـين وجـــودي يامـدى هممـي

يـــا منطقـــي وعبـــاراتي وإعيـــائي

يـا كـل كـلي ويـا سـمعي ويـا بصـري

ياجمـــلتي وتباعيضـــي وأجـــزائي

يـامن بـه علِـقت روحـي فقـد تـلفت

وجـدًا فصـرت رهينـا بـين أهـوائي

أبكـي عـلى شـجني مـن فـرقتي وطنـي

طـــوعًا ويســـعدني بـــالنوح أعـــدائي

أدنـــو فيبعـــدني خـــوفي فيقلـــقني

شـــوقٌ تمكـــنَّ في مكنـــون أحشـــائي

فكيــف أصــنع في حــبٍّ كــلفت بــه

مــولاي قــد مــلّ مــن سُــقْمِي أطبــائي

قــالوا تــداوى بــه، منــه فــقلت لهــم

ياقــوم هــل يتــداوى الــداءُ بالــداءِ

حبِّــي لمــولاي أضنــاني وأســقمني

فكيــف أشــكو إلى مــولاي مــولائي

إني لأرمُقــــهُ والقــــلب يعــــرفه

فــما يُترجــم عنــه غــير إيمــائي

يــا ويــح روحــي مــن روحــي ويــا أسـفي

علــيّ منــي فــإني أصــل بــلوائي

كأننــي غَــرِقٌ تبــدو أنامــله

تغــوثًا وهــو في بحــرٍ مــن المــاءِ

ولــيس يعلــم مــا لاقــيت مــن ســقمٍ

إلاَّ الــذي حــل منــي في ســويدائي

ذاك العلــيم بمــا لاقيــت مــن دنــفٍ

وفي مشيئتــه مــوتي وإحيــائي

يــا غايــة الســؤل والمــأمول يــا ســكني

يــا عــيش روحــي ويــا دينــي ودنيــائي

قـل لي فـديتك يـا سمـعي ويـا بصـري
لِمْ ذا اللجاجـــة في بُعـــدي وإقصـــائي
إن كنـتَ بالغيـب عـن عينـيّ محتجبًـا
فالقلـب يرعـاك في الإبعـاد والنـائي
كانـــت لقلبـــيَ أهـــواءٌ مفرقـــةٌ
فاسـتجمعت مـذ رأتـك العـين أهـوائي
اشـــعلت في كبـــدي نـــارين واحـــدةً
بـين الضـلوع وأخـرى بـين أحشـائي

تركـــتُ للنـــاس دنيـــاهم ودينهـــمُ
شغـــلًا بحبـــك يـــا ديـــني ودنيـــائي

ياموضع الناظر:

يـا موضـع النـاظر مـن ناظـري ... ويـا مكـان السـر مـن خـاطري
ياجملـــة الكـــل التـــي كلهـــا ... أحب من بعضـي ومـن سائرِي
تـــراك ترثـــي للـــذي قـــلبه ... معـــلقٌ في مخـــلبي طـــائرِ
مدلّـــهٌ حيـــران مستـــوحشٌ ... يهـرب مـن قفـرٍ إلى آخـرِ
يـسري ومـا يـدري وأسـراره ... تسـري كلمـح البـارق النـائرِ
كسـرعة الـوهم لمـن وهمـهُ ... عـلى دقيـق الغـامض الغـابرِ
في لُـجِّ بحـث الفكـر تجـري بـه ... لطـائفٌ مـن قـدرة القـادرِ

نلاحظ هنا الرؤية الكونية للوجود، والالتفاتة إلى نسبية الزمن والسرعة والتعبيرالرائع عن الحيرة القصوى وجمال الاشتقاق والتوليد للمفردات، كما نلاحظ الاقتباس في الأبيات التي تنسب إلى غزالة، تخاطب الحجاج:

أسـدٌ عـلي وفي الحـروب نعامـةٌ فتخاء تجفلُ من صفير الصافر
هـلا بـرزت إلى غزالـة في الـوغى أم أن قلبك في جنـاحيْ طـائرِ

لي حبيب:

لـــي حبيـبٌ أزور في الخـلواتِ غـائبٌ حـاضرٌ عـن اللحظـاتِ
مـا تـــراني أصـغي إليـه بسـمعٍ كي أعـي ما يقـول من كلماتِ
كلـماتٌ مـن غـير شـكلٍ ونطـقٍ لاولا مثل نغمـة الأصـواتِ
فكـأني مخـاطبٌ كنـتُ إيـاه عـلى خـاطري بـذاتي لـذاتي
حـاضرٌ غائـبٌ قـريبٌ بعيـدٌ وهو لم تحـوهِ رسوم الصفات
هـو أدنـى إلى الضـمير مـن الـوهم وأخفـى مـن لائـح الخـطراتِ

تذكرنا بأغنية ماجدة الرومي (يُسمعني حين يُراقصني كلمات ليست كالكلمات).

سر السرائر:

سرُّ السرائـــــر مطـــــويّ بإثبـــــاتِ

في جانـــب الأُفـــق مـــن نـــورٍ بطيـــاتِ

فكيـــف والكيـــف معـــروفٌ بظـــاهره

فالغـــيب باطنـــه للـــذات بالـــذات

تـــاه الخلائـــق في عميـــاء مظلمـــة

قصـــدًا ولم يعرفـــوا غـــير الإشـــارات

بـــالظن والـــوهم نحـــو الحـــق مطلـــبهم

نحـــو الهـــواء ينـــاجون السمـــوات

والـــرب بيـــنهمُ في كـــل منقلـــب

محـــل حالاتهـــم في كـــل ساعـــات

ومـــا خلـــوا منـــه طـــرف العـــين لوعلمـــوا

ومـــا خـــلا مـــنهم في كـــل أوقـــاتِ

بدا لك سرٌّ:

بـــدا لـــك ســـرٌطال عنـــك اكتتـــامهُ

ولاح صـــباحٌ كنـــتَ أنـــتَ ظلامـــهُ

وأنـــت حجـــاب القلـــب عـــن سرِّ غيبـــه

ولـــولاك لم يطبـــعْ عليـــه ختامـــهُ

إن الحبيب الذي:

إن الحبيـب الـذي يرضـيه سـفك دمـي
دمـي حـلال لُـه في الحـل والحـرم
إن كـان سـفك دمـي أقـضى مرادكـمُ
فـلا عـدَت نظـرةٌ مـنكم بسـفك دمـي
والله لـو علمـت روحـي بمـن علـقت
قامـت عـلى رأسـها فضـلًا عـن القـدم
يـا لائمـي لاتلمنـي في هـواه فلـو
عاينـت منـه الـذي عاينـت لم تلـم
يطـوف بالبيـت قـومٌ لا بجارحـةٍ
بـالله طـافوا فأغنـاهم عـن الحـرم
ضـحى الحبيـب بـنفسٍ يـوم عيدهـمُ
والنـاس ضـحُّوا، بمثـل الشـاء والـنعم
للنـاس حـجٌّ ولي حـجٌ إلى سكنـي
تُهدى الأضاحي وأهـدي مهجتي ودمي
أنعـي إليـك نفوسًـا طـاح شاهدهـا
فـيما ورا الحيـث بـل في شـاهد القِـدم
انعـي إليـك قلوبـا طالمـا هـطلت
سحـائب الـوحي فيهـا أبحُـرُ الكَلِـم

أنعـــي إليـــك لســـان الحـــق مُـــذ زمـــنٍ

أودى وتـــــذكاره في الـــــوحي كالعـــــدمِ

أنعـــي إليـــك بيانـــا تستكيـــــن لـــــه

أقـــــوال كـــــل فصيـــــح مِقْـــــوَلٍ فَهِـــــمِ

أنعـــي إليـــك إشـــارات العقـــول معًـــا

لم يبـــــق مـــــنهن إلا دارس الرمـــــــمِ

أنعـــــي وحبِّـــــك أخلاقـــــا لطـائفـــــةٍ

كانـــت مطـــاياهمُ مـــن مكـــمد الكظـــمِ

مضـــى الجميـــع فـــلا عـــينٌ ولا أثـــرٌ

مُضـــيّ عـــادٍ وفقـــدان الأولـــى إرمِ

وخلّفـــوا معشـــرًا يحـــذُون لُبسهـــمُ

أعمـى مـن البُـهْم بـل أعمـى مـن الـنعمِ

نلاحظ التأثر الواضح لقصيدة (البُرْدة) للبوصيري ومن بعده أحمد شوقي: ريمٌ على القاع بين البان والعلم...أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم) وسنأتي على ذكرها في مقام آخر.

وقد وردت قصيدة (نعوه) بشكل مستقل في بعض المراجع، وقد رأينا دمجها مع قصيدة إن الحبيب هذا فهي بنفس النفس والقافية.

من أطلعوه على سر:

مـــن أطلعـــوهُ عـــلى سرٍّ فبـــاح بـــه

لم يـــأمنوهُ عـــلى الأسرار مـــا عاشـــا

وعاقبـــوه علـــى ماكـــان مـــن زلـــلٍ

وأبـــــدلوه مكـــــان الأنـــــس إيحاشـــا

وجـــانبوه فلـــــم يصـــــلح لقـــــربهمُ

لّمـــــا رأوه عـــــلى الأسرار نبـــــاشا

مـــن ســـاررهُ فأبـــدى كلـــما عرفـــوا

ولم يُـــراع اتصـــالًا كـــان غشاشـــا

مـــن أطلعـــوهُ عـــلى ســـرٍّ فنـــمَّ بـــه

فـــذاك مـــثليَ بيـــن النـــاس طيَّاشـــا

إذا النفـــوس أذاعـــت ســـرما علـــمت

فكـــل مـــا حملـــت مـــن عقـــلها جاشـــا

هـــمْ أهـــل سرٍّ ولـــلأسرار قـــد خُـــلقوا

لا يصبـــرون عـــلى ماكـــان فحاشـــا

لا يقبلـــــون مـــــذيعًا في مجـــــالسهم

ولا يحبـــون ســـترًا كـــان وشـــواشا

لا يصـــطفون مضـــيفًا يفـــضِ سرهـــمُ

حـــاشا جلالهـــمُ مـــن ذلكـــم حاشـــا

فكـــن بهـــم ولهـــم في كـــل نائبـــةٍ

إليهـــمُ مـــا بقـــى ذا الـدهـــر هشاشـــا

هذا النص الجميل والمبتدع القافية، رغم صعوبتها فقد جاء مملوءًا بالمعاني والأخيلة وهو يتحدث عن الأمانة وكتمان السر وقد رأيت تعديل بعض العبارات ليستقيم المعنى وأعدت ترتيبها لأنها كما سبق وجدت في مخطوطات عديدة وحذفتُ بيتين لأنها ربما صُحِّحت وصيغت بصورة أجمل فيما بعد.

سكنت قلبي:

ســكنتَ قلبـــي وفيـــه منـــك أســـرارُ

فليهنـــك الـــدار بـــل فليهنـــك الجـــارُ

مـــا فيـــه غـــيرك مـــن سرٍّ علمـــتُ بـــه

فـــانظر بعينيـــك هـــل في الـــدار ديـــار

وليلـــة الهجـــر إن طالـــت وإن قصـــرت

فمؤنســـي، أمـــلٌ فيـــها وتـــذكار

إني لـــراضٍ بـــما يرضـــيك مـــن تلـــفي

يـــا قـــاتلي ولمـــا تختـــار أختـــارُ

لوشئت كشّفتُ:

لــو شــئت كشّــفت أسراري بــأسراري
وبُحْـتُ بالوجـد في ســري وإضمــاري
لـــكن أغــار عــلى مـــولاي يعرفنـــي
مـــن لـــيس يعرفـــه إلا بإنكـــارِ
فمِـــن إلهـــي إشـــاراتي وإن كثـــرت
في الخـــلق مـــا بـــين إيـــرادٍ وإصـــدار
مـــا لاح نـــورك لي يومـــا لأثبتـــهُ
إلا تنـــكّرتُ منـــهُ، أيّ إنـكـــار
ولا ذكرتـــك إلاّ تُهـــت مـــن طـــربٍ
حتـــى أمـــزق أحشـــائي وأطـــماري

ياسرّ سرِّي:

يـاسر سري يـدقُّ حتـى يخفَـى عـلى وهـم كـل حـيٍّ
وظـاهرًا باطنًـا تجـلّى في كـل شـيئ لكـل شـيئ
إنّ اعتـذاري إليـك جهـلٌ وعُظـمُ شـكِّي وفـرط عَيـيٍّ
ياجُملـة الكـل لسـتَ غـيري فمـا اعتـذاري إذًا إليـيٍّ

كادت سرائر سري:

كـادت سرائـر سـري أن تُسـرُّ بـما
أوليـتني مـن جميـلٍ لا أسـمِّيهِ
وصـاح بالـسر سرٌّ منـك يرقـبهُ
كيـف السـرور مـسرٌّدون مبديـهِ
فظـلّ يلحـظني سري لألحظـهُ
والحـقُّ يلحظنـي أن لا أخلِّـيهِ
وأقبـل الوجـد يغنـي الكـل مـن صـفتي
وأقبـل الحـقُّ يخفينـي فأُبديـهِ

نسبت لأبي الحسن النوري بحسب كتاب ماسينون الذي أشرنا إليه.

٧- الحنين والشجن:

إذا ذكرتك كاد الشوق:

إذا ذكرتــكَ كــاد الشــوق يقتلنــي
وغفلتــي عنــك أحــزانٌ وأوجــاعُ
وصــار كــلي قــلوبٌ فيــك داعيــةٌ
للسقــم فيهــا ولــلآلام إســراعُ
فــإن نطقــتُ فكلــي فيــك ألســنةٌ
وإن ســمعت فكــلي فيــك أســماعُ

حنين المريد:

حنــين المريــد بشــوقٍ مــزيدُ أنــين المريض لفقــد الطبيبِ
قــد اشــتد حــال المريــدين فيــه لفقد الوصال وبُعدالحبيبِ

مستعارة للقزويني بحسب ما سينون

الصبُّ إرثي:

الصــبّ ربِّــي مُحــبٌّ نوالــه منــك عُــجبُ
عذابــه فيــك عــذبٌ وبُعــده فيــك قــربُ
وأنــت عــندي كــروحي بــل أنــت عــندي أحــبُّ
فأنــت للعــين عــينٌ وأنــت للقــلب قــلبُ
حتــى مــن الحــبِّ إنــي لِمــا تُحــبُّ أُحِــبُّ.

في بعـــض النصـــوص الصـــب إرثـــي محـــبٌ

وهذه أيضا وردت للقزويني بحسب ما سينون

مُواصلي:

مواصـلي بالوصـال صـلني وصِـلْ وصـالًا بـلا تجنِّـي
زعمـتُ أني فنيـتُ عنـي فكيـف لـي بالـدنـو منـي
إذا دنـا منـك لـي فـؤادي فـلا تسـلني وسَـلْهُ عـني
سـؤال مسـتيقظ حـفيظ الحـقَّ أعـني وأنـت تـعنـي
مواصـلي بالصـدود لمـا بحـقِّ حـقِّ الصـدود صلنـي
ولا تُمِتْـني بـكرب صـدٍّ فـبعض ضرب الصـدود يضـني
عجبت أنى أمـوت شـوقًا وأنـت- يـا سيـدي- تَعِـدْني

ياحبيبي:

يـاحبيبي أنـت سـؤلي قـد تـراني في مكـاني
نـورك المُبصـر حقـا لعيـاني لعيـاني
وتحقّـقتكَ فاصـنع كـل مـا شـئت بشـاني
أنـا في الحـب قتيـلٌ ومـع الأحبـاب فـاني

فليتك تحلو:

فليتـك تحلـو والحيـاة مـريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عـامرٌ وبيني وبـين العـالمين خـرابُ
وليـت شرابي مـن ودادك صـافيًا وشربيَ مـن مـاء المعـين سراب

إذا نِلتُ منك الــودّ فالكل هيّنٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ

ضُمنت هذه الأبيات قصائد بعض الشعراء لجودتها مثل قصيدة إبي فراس (أما لجميل عندكن ثوابُ) وأضاف إليها المتنبي بيتًا واحدًا.

وهنا أريد أن أعقد مقارنة بمناسبة الحديث عن المتنبي عملاق الشعر العربي فعند قراءة المتنبي يشعر المرء بالحماسة والذهول والغضب وجرس الكلمة العجيب الذي يملأك نشوة وفخرًا، أما عند قراءة الحلاج، فتشعر بالسكون والتخدير والطرب الحزين الذي يجرُّكَ إلى عالم آخر، وإلى ما وراء اللفظ والمعنى وكأنما الشاعران طرفي نقيض، أو كأنما يكملان بعضهما بعضا، إقراء قول المتنبي:

طاعن الطعنة التي تطعن الفيلق بالذُّعر والدمِ المهراق

وقول الحلاج:

طــوبى لطــرفٍ فــاز منــك بنظــرةٍ أو نظــرتين
ورأى جمالــكَ كــل يــومٍ مــرةً أو مــرتين

شغلت قلبي:

شغلت قلبي بمالديك فما ينفكُّ طول الحياة من فكري
آنستني بالوداد منك وقد أوحشتني من تخلُّط البشر
ذكرك لي مؤنس يعارضني يؤُودني منك عنك بالظفر
وحيث ما كنت يا مدى همي فأنت مني بموضع النظر

يؤودني بدلًا عن يؤذيني التي وردت في النصوص.

ياسرّ سرِّي:

ياســـرَّ ســـري يـــدقُّ حتـــى ... يخفَى على وهـم كل حـيٍّ

وظـــاهرًا باطنًـــا تجـــلّى ... في كـل شـيئ لكـل شـيئ

إنّ اعتـــذاري إليـــك جهـــلٌ ... وعُظـمُ شكِّي وفـرط عَـيِّ

ياجُملـة الكـل لسـتَ غـيري ... فمـا اعتـذاري إذًا إلـيِّ

راعيتنـــي بالحفـــاظ حـــتى ... حُميـتُ عـن مربـعٍ وبيـِّي

فانـت عنـد الخصـام عـذري ... وفي ظمـائي فـأنت ريـيِّي

إذا امتطـى العـارف المصـلّى ... أسـرى إلى منظـرٍ عـليِّ

فـضّ ختـام الغيـوب عـمّا ... يُحيي فـؤاد الشجـي الـوليِّ

مـن حـار في دهشـة التلاقـي ... أبصرتَـه ميتًـا كـحيـي

٨- الحب والابتلاء:

نظـــري بـــدء عـــلّتي ... ويـح قلبـي ومـا جنـا

يـا مُعـين الضـنى عـليّ ... أعـنِّي عـلى الضـنى

كـلُّ بـلاءٍ عـليَّ منِّـي ... فليتنـي قـد أخـذتُ عنِّـي

إن الحبيب الذي يرضيه:

إن الحبيـب الـذي يرضـيه سـفك دمـي

دمـي حـلال لُـه في الحـل والحـرم

إن كـان سـفك دمـي أقـضى مرادكـمُ

فـلا عـدَت نظـرةٌ مـنكم بسـفك دمـي

والله لـو علمـت روحـي بمـن علـقت

قامـت عـلى رأسـها فضـلًا عـن القـدم

يـا لائمـي لاتلمنـي في هـواه فلـو

عاينـت منـه الـذي عاينـت لم تلـم

يطـوف بالبيـت قـومٌ لا بجارحـةٍ

بـالله طـافوا فأغنـاهم عـن الحـرم

ضـحى الحبيـب بـنفسٍ يـوم عيدهـمُ

والنـاس ضـحُّوا، بمثـل الشـاء والـنعم

للنـاس حـجٌّ ولي حـجٌ إلى سكنـي

تُهـدى الأضـاحي وأهـدي مهجتـي ودمـي

أنعـي إليـك نفوسًـا طـاح شاهدهـا

فـيما ورا الحيـث بـل في شـاهد القِـدم

انعـي إليـك قلوبًـا طالمـا هـطلت

سحـائب الـوحي فيهـا أبحُـرُ الكَلِـم

أنعـي إليـك لسـان الحـق مُـذ زمـنٍ

أودى وتـذكاره في الـوحي كالعـدمِ

أنعـــي إليـــك بيانـــا تستكيـــن لـــه

أقـــوال كـــل فصيـــح مِقْـــوَلٍ فَهِـــمِ

أنعـــي إليـــك إشـــارات العـقـــول معًـــا

لم يبـــق مـــنهن إلا دارس الرمـــمِ

أنعـــي وحبِّـــك أخلاقـــا لطـائفـــةٍ

كانـــت مطـــاياهمُ مـــن مكـــمد الكظـــمِ

مضـــى الجميـــع فـــلا عـــينٌ ولا أثـــرٌ

مُضـــيّ عـــادٍ وفقـــدان الأولـــى إرمِ

وخلّفـــوا معشـــرًا يحـــذُون لُبسهـــمُ

أعمـى مـن البُـهْم بـل أعمـى مـن النعمِ[1]

---

(١) هذه المقطوعات الخمس، والتي وردت في مخطوطات منفصلة، جمعتها في منظومة واحدة، بما في ذلك المقطوعة الأخيرة، والتي جاءت لوحدها معنونة بعنوان (نعوة)، والتي يُقال أنه أنشدها قبيل إعدامه، وذلك لأنها تبدو لي من منبعٍ واحد ونَفَسٍ واحد، ولا يخفى على الجميع بصمتها القوية، التي تركتها في تاريخ الشعر العربي الوجداني، ومعارضاتها الكثيرة، والتي نذكر منها قصيدة البُردة الذائعة الصيت للإمام البوصيري، ونهج البُردة، لإحمد شوقي، وقصائد ابن الفارض والبُرعي وغيرها.

كانت لقلبي:

كانـــت لقلبـــيَ أهـــواءٌ مفرقـــةٌ
فاستجمعت مُـذْ رأتـكَ العيـن أهـوائي
أشعـــلتَ في كبـــدي نـــارين واحـــدةً
بـين الضـلوع، وأخـرى بـين أحشـائي
فصـــار يحســـدني مـــن كنـــت أحســـدهُ
وصِرْتُ مـولى الـورى مُـذْ صِرْتَ مـولائي
مـــا لامنـــي فيـــك أحبـــابي وأعـــدائي
إلا لغفـــلتهم عـــن عظـــم بلـوائـــي
تركـــتُ للنـــاس دنيـــاهم وديـــنهمُ
شغـــلًا بحبـــك يـــا ديـــني ودنيـــائي

ما إن ذكرتك:

مـــا إن ذكرتـــــك إلا هـــــمّ يقتلنـــي

ذكـــرِي وسرِّي وقلبـــي عنـــد ذكراكـــا

حتـــى كـــأنّ رقيبًـــا منـــك يهتـــف بي

إيـــــّاك إيـــــاك والتذكـــــار إياكـــــا

أمـــا تـــراهُ وقـــد لاحـــت شـــواهدهُ

وواصـــل الكـــلّ مـــن معنـــاهُ معنـــاكا

تصحيح كلمة (تراه) بدلا عن ترى في البيت الأخير.

ليس يخلو:

ليس يخلو جوارحي منك وقتًا هي مشغولةٌ بحمـل هواكا

ليس يجري على لـــــساني شيءٌ علـم اللهُ، ذا، سـوى ذكراكا

رماني بالصدود:

رمـاني بالصـدود كـما تـراني وألبسـني الغـرام وقـد بـراني

ووقتـي كلـه حلـوٌ لـذيـذٌ إذا مـا كـان مـولائي يـراني

رضـيتُ بصـنعه في كـل حـالٍ ولسـت بكـارهٍ مـا قـد رمـاني

فيـا مـن لـيس يشـهد مـا أراهُ لقـد غـيِّبْتَ عـن عـينٍ تـراني

تنسب في بعض المراجع للقزويني ضمن القصائد التي ذكر أنها مستعارة.

كتبتُ ولم أكتب:

كتبـــتُ ولم أكتـــب إليـــك وإنمـــا
كتبـــتُ إلى روحـــي بغـــير كتـــابِ
وذلـــك أن الـــروح لافـــرق بينهـــا
وبـــين محبِّيـــها بفصـــل خطـــاب
وكـــل كتـــابٍ صـــادرٍ منـــك واردٌ
إليـــك بـــلا ردِّ الجـــواب جـــوابي

قد تصبَّرت:

قـــد تصـــبَّرتُ وهـــل يصـــ ـبرقلـــبي عـــن فـــؤادي
مازجـــت روحـــك روحـــي في دنـــــوٍّ وبعـــــادِ
فأنـــا أنـــت كـــما أنـــك أنّـــــي ومُـــــرادي
أنـــتم ملكتـــم فـــؤادي فهمـــت في كـــل وادي
رُدُّوا عـــــلي فـــــؤادي فقـــد عـــدمت رقـــادي
أنـــا غريـــبٌ وحيـــدٌ بكـــم يطـــول انفـــرادي
لا تلمنـي فاللـوم منـي بعيـدُ وأجِـرْ سيدي فـإني وحيـدُ
إن في الوعـد وعـدك الحـق حقـا إن في البـدء بـدء أمـري رشـيدُ
مـن أراد الكتـاب هـذا كتـابي فـاقرؤا واعلمـوا بـأني شـهيدُ

كم حسرة فيك:

كـم حسـرة فيـك لي غصَّـت مرارتهـا
جعلـت قلبـي لهـا وقفـا لبلواكـا
وحـقُّ مـا منـك يضـنيني وينـعشني
لأبكينـك أو أحـظى بلقياكـا

يابديع الدلِّ:

يابـديع الـدلِّ والغنـج لـك سلطـانٌ عـلى المُهـجِ
إنَّ بيتًـا أنـت ساكنـه لـيس محتاجًـا إلى السـُّرجِ
وجهـك المـأمول حجتنـا يـوم يـأتي النـاس بـالحججِ[1]

فيك معنىً:

فيك معنىً يدعو النفوس إليكا ودليـلٌ يـدل منـك عليـكا
لي قلـبٌ لـه إلـيك عيـونٌ نـاظراتٌ وكلـه في يـديكا

همي به:

هـمِّي بـه ولـهٌ عليكـا يـامن إشـارتنـا إليكـا
رُوحـان ضـمَّهما الهـوى في راحتيـكَ وفي يَـدَيْكا[2]

---

(١) صنفها ماسينون من ضمن القصائد المستعارة من شعراء سابقين واعتبر هذه لعبد الصمد بن المضمحل البصري.

(٢) تصحيح الشطر الأخير، (في راحتيك وفي يديكا) بدلا من (مدحتك وفي لديكَ) التي جاءت في المخطوطة.

يا نسيم الريح:

يـا نسـيم الـريح قـولي للرَّشـا لـمْ يـزدني الـوِرْدُ إلاّ عطشـا
لي حبيـبٌ حبُّـه وسـط الحشـا لويشا يمشي على خدي مشا
روحـه روحـي وقلبـي قلبـهُ إن يشا شئتُ وإن شئتُ يشـا

اقتباس المعنى، أو توارد الخواطر، في أغنية عبد الرحمن الآنسي التي مطلعها:

لاقيـتُ في المسـقى جـذا المحلـة في مـورد المـا، لي لِقِـي

والتي منها:

وافرش خديدي لك بكل رملهْ خـدِّي لأقـدامك تليـقْ

والتي أخذت بدورها من قول ابن المعتز:

فقمـتُ أفـرش خـدي في الطريـق لـه
ذُلًا وأسـحبُ أذيـالي عـلى حـذرِ

والله لوحلف العشاق أنهمُ

والله ما طلعت:

والله مـا طلعـت شـمسٌ ولاغـربتْ
إلا وذكـرك مقـرونٌ بـأ نفـاسي
ولا جـلستُ مـع قـومٍ أحـدثهم
إلا وكنـتَ نديـمي بـين جُـلاّسي

ولاشربت كؤوس الماء من ظمأ

إلا رأيتُ خيالًا منك في الكاس

ولو قدرت على الإتيان جئتكمُ

سعيًا على الوجه أو مشيًا على الراس

ويافتى الحيِّ إن غنيت لي طربًا

فغنِّ وا أسفًا، من قلبك القاسي

مالي وللناس كم ينهونني سفهًا

ديني لنفسي، ودين الناس للناس

الله يعلم:

الله يعلم ما في النفس جارحةٌ

إلا وذكرك فيها نيل ما فيها

وما تنفست إلا كنتَ معْ نفسي

تجري بك الروح مني في مجاريها

إن كانت العين مذ فارقتها نظرت

إلى سواك فخانتها مآ قيها

وكانت النفس بعد البُعد آلفةً

خلقا عداك، فلا نالت أمانيها

ونظـــرةٌ منـــك يـــا ســـؤلي ويـــا أمـــلي

أشـــهى اليّ مـــــن الـدنيـــا ومـــا فيهـــا

لم أُســـــلم الـــنفس للأســـقام تـــُتلفها

إلا لعلمـــــي بـــــأن المـــــوت يحييهـــــا

نفـــس المحـــبِّ عـــلى الآلأم صابـــرةٌ

لعـــــلَّ مُسقمهـــــا يومًـــــا يـــــداويها

المقطوعة الأولى لاتزال تُغنى في اليمن إلى اليوم، بمختلف الألحان المعروفة في اليمن، والتي تقوم على ألحان التفعيلة، كما تغنيها المجموعة في مختلف الأقطار العربية بأداءٍ أوركسترالي بديع، شاهدوها على اليو تيوب.

المقطوعة الثانية وهي مثبتة للحلاج في عدة مخطوطات، تعتبر أنموذجًا جيدًّا للتأثر والاقتباس، وقد جاءت على وزنها عدة قوالب تُغنّى إلى اليوم، ولا تكاد تصغي يمنة، أويسرة إلا وتسمعها، من ذاك البيت، أو ذلك المقهى، وقد غنّاها معظم المطربين اليمنيين بأنماط متعددة ومطالع مغايرة، وبنفس ذلك النَفَس الرومانسي مثل: قصيـدة:

رضـــاك خـــير مـــن الـــدنيا ومـــا فيهـــا

وأنـــــت للـــــنفس أشـــــهى مـــــن تمنيهـــــا

وقصيدة:

قـــال المعنـــى ســـمعت الطيـــر يـــترنم

فهـــيّج أشـــجان كـــان القلـــب خافيهـــا

وقصيدة:

يـا مُـذهب الخـد تفـاح الـوجن مـن كـمْ

فمهجتـــي مـــن لمـــاك قصـــدي أداويهـــا

وحتى الشاعر الكبير نزار قباني أخيرًا قد عارضها بقصيدة مطلعها،

متـى سـتعرف كـم أهـواك يـارجلا أبيـع مـن أجلـه الـدنيا ومـا فيهـا

وغير ذلك من المعارضات.

ولعله حتى قد لازمها نفس اللحن الطربي التي يُغنى به مثل هذا البحر منذ زمن طويل. والأغرب من هذا كله نسبتها للحمداني (المقطع الأول) والتي أظن أنها ما أشهرت شعر الحلاج حتى اليوم.

الحب مادام:

الحـــب مـــادام مكتومًـــا علـــى خطـــرِ

وغايـــة الأمـــن أن تدنـــو مـــن الحـــذر

وأطيـــب الحـــب مـــانمّ الحديـــث بـــه

كالنـار لا تـأت نفعًـا وهـي فـي الحجـر

مـن بعـد مـا حضـر الحكـام واجتـمعا

السـجانُ واختطّ اسـمي صـاحب الخـبر[1]

[1] وردت كلمة السحاب في نص، وكلمة السجان في نص آخر ونرجح الأخرى، أما العلاقة بين النَّصين فليست خافية، ويبدو أن لها تكملة مفقودة! تربط النصين ببعضهما.

أرجـــو لنفســـي بـــراءً مـــن محبتكـــم

إذا تـــبرأت مـــن ســـمعي ومـــن بصـــري

ومـــا وجـــدتُ لقلبـــي راحـــةً أبـــدًا

وكيـــف ذاك وقـــد هبيّـــتُ للكـــدر

لقـــد ركبـــتُ عـــلى التـــغريـــر واعجبًـــا

ممـــن يريـــد النجـــا في المســـلك الخطـــر

كـــأنني بـــين أمـــواجٍ تقـــلبني

مُقلـــبٌ بيـــن إصعـــادٍ ومُنحـــدرِ

الحـــزن في مهجتـــي والنـــار في كبـــدي

والـــدمع يشـــهدُ لي فاستشـــهدوا بصـــري

أنتم ملكتم فؤادي:

أنـــتم ملكتـــم فـــؤادي فهمـــت في كـــل وادي

رُدُّوا عـــلي فـــؤادي فقـــد عـــدمت رقـــادي

أنـــا غريـــبٌ وحيـــدٌ بكـــم يطـــول انفـــرادي

كل حب:

كـل حـبٍّ عـلى قـلـبِ غيـر حبـك حـرامُ
أنـــت لـــي رُوحٌ وراحٌ وزهـــرٌ ومُـــدام
وســـرورٌ وهمـــومٌ وشفـــاءٌ وسقـــام
فعـلى كـل هـوىً بعـدَ هـوىً فيـك سلام[1]

وكان فؤادي:

وكـــان فـــؤادي خاليـــا قبـــل حـــبِّكم
وكـــان بـــذكر الخـــلق يلهـــو ويمـــرحُ
فلـــما دعـــا قـــلبي هـــواك أجـــابه
فلســـــت أراهُ عـــــن ودادك يـــــبرحُ
حـــرام عـــلى جفنـــي الكـــرى يامعـــذبي
وأنـــت عـــلى الهجـــران تمســـي وتصـــبحُ
بُليـــتُ ببـــينٍ منـــك إن كنـــت كاذبًـــا
وإن كنـــت في الدنيـــا بغـــيرك أفـــرح
وإن كـــان شـــيءٌ في الـــبلاد باســـرها
إذا غـــبت عـــن عينـــي بعينـــي يمـــلحُ

---

(١) الملاحظ هنا هو تكرار وتردد مثل هذه البحور القصيرة، مثل المجتث، والهزج ومجزوءات، ومخالع البسيط، وفي نظري هذا هو ما أغرى شعراء الغناء السير على منواله، ومعارضة مثل هذه الأوزان، بما في ذلك حتى الشعر الشعبي.
وقد نسبت للقزويني أيضا بحسب ما سينون

فـإن شـئت واصـلني وإن شـئت بالجفـا

فلســتُ أرى قــلبي لــغيرك يصــلح

وبـدا لـه:

وبدا له من بعـد مـا انـدمل الهـوى بــرقٌ تــألَّق موهنــا لمعانــهُ

يبـدو كحاشـية الـرِّداء ودونـه صعب الـذُّرى متمنعًا أركانـهُ

فـأتى لينظـر كيـف لاح فلـم يُطـق نظـرًا إليـه تَصُـده أشـجانه

فالنار مـا اشـتملت عليـه ضـلوعهُ والمـاءُ مـا سـمحتْ بـه أجفانـهُ

٩- العشق والفناء:

العشق في أزل:

العشــق في أزل الآزال مــن قِــدمٍ فيـهَ بـهِ منـهُ، يبـدو منـه إبـداءُ

العشـق لا حـدثٌ، إذ كـان هـو صـفةً مـن الصفــات لمـن قـتلاه أحيـاءُ

صــفاته، منــه، فيــه، غــير مُحدثــةٍ ومُحـدث الشـيء مـا مبـداهُ أشـياءُ

لمـا بـدا البـدء، أبـدى عشـقه صفـةً فـيما بــدا قــدرًا لا فيــه لأوْآ ؤ

والـلام بـالألف المعطـوف مؤتـلفٌ كلاهمـا واحــدٌ في السـبق معنـاءُ

وفي التفــرُّق اثنــانِ، إذا اجتمعــا بـلا افـتراقٍ هُمـا عبــدٌ ومـولاْءُ

كـذا الحقـائق نـار الشـوق ملتهــبٌ عـن الحقيقـة إن بـا تـوا وإن نـاؤوا

ذلُّــوا بغــير اقتــدارٍ بعــدما ولهــوا إنَّ الأعــزا إذا اشتــاقوا أذلاَّءُ

مـا حيلـة العبـد والأقـدار جاريـةٌ عليـه في كـل حـالٍ أيهـا الرائـي

ألقـاه في الـيم مكتوفًـا وقـال لـه إيـاك إيـاك، أن تبتـلّ بالمـاءِ

النسيج واحد والقطعتان في مخطوطتين مختلفتين.

طوبى لطرف:

طـــوبى لطـــرفٍ فـــاز منـــك بنظـــرةٍ أو نظرتيـــن

ورأى جمـــالك كـــل يـــومٍ مـــرةً أو مرتيـــن

يـــازين كـــل مـــلا حـــة حوشـــيتَ مـــن عـــين وشـــين

أنـــت المقـــدم في الجـــمال فـــأين مثلـــك أيـــن

أيامن طَرْفُه سِحرُ:

أيـــا مـــن طرفـــهُ سِحـــرُ ويـــا مـــن ريقـــهُ خمـــرُ

تجـــاسرتُ فكـــا شـــفتكَ لَمَّـــا غـــلب الصبـــرُ

ومـــا أحســـن في مثلـــك أنْ يُنتهـــكُ السِّتـــرُ

لئـــنْ عنّفنـــي النـــاسُ فـــفي وجهـــك لي عُـــذرُ

كـــأنَّ البـــدرَ مُحتـــاجٌ إلى وجهـــكَ يابـــدرُ

تذكرنا هذه المقطوعة بأغنية شقيق القمر أسفر بديجور فينانه، لعلها للشاعر اليمني الآنسي أحمد وهي من نفس البحر(الهزج). وقد صنفها ماسينون لحسين بن الضحاك الخالي.

تمنّت سليمى:

تمنّـــت سُـــليمَى أن أمـــوت بحبهـــا

وأسهـــل شـــيءٍ عـــندنا مـــا تمنَّـــتِ

أباحـــت دمـــي إذ بـــاح قلبـــي بحبهـــا

وحـــل ّلهـــا في حكمهـــا مـــا اســـتحلتِ

أباحـــت حمـــىً لم يَرْعَـــهُ النـــاس قبلهـــا

وحـــلّت تِـــلاعًا لم تكـــن قبـــل حُلّـــت

فألقـــت عـــلى سري أشـــعة نورهـــا

فـــلاحَ لجُـــلاّسي خفايـــا طـــويتي

ونمَّـــت عـــلى سري فكـــانت هـــي التـــي

عليهـــا بهـــا بـــين البريـــة نمّـــت

ومـــا كنـــت ممـــن يظـــهر الســـرّ إنـــما

عـــروس هواهـــا في ضـــميري تجلـــت

وشـــاهدتها فاستغـــرقتني حيـــرةٌ

فغابـــت بهـــا عـــن كـــل كـــلِّي، وجُملتـــي

وحلّـــت محـــل الكـــل منـــي بكلـــها

فإيـــاي إيـــاها إذا مـــا تبـــدَّتِ

إذا سـألت مـن أنـت قلـت أنـا الـذي

بقـائي إذا أفنيـت فيـك هويـتي

متـى سـهرت عينـي لغيـرك أو بكـتْ

فـلا أُعطـيتْ مـا مُنِّيـت، وتمنَّـتِ

وإن أضـمرت يومـا سـواك فـلا رعـتْ

ريـاض المنـى مـن وجنتيـك وجَنّـتِ

أنـا الحـق في عشـقي كمـا أن سـيدي

هـو الحـق في حُسـنٍ بغـير معيّـةِ

فـإن كنـت في سـكري شـطحت فـإنني

حكمـتُ بتمزيـق الفـؤاد المفتـتِ

ولا غـرو إن أُصْـلِيتُ نـار تحـرقي

فنـار الهـوى للعاشـقين أعـدتي

ومـن عجـبٍ أن الـذين أحبهـم

وقـد أعلقـوا أيـدي الهـوى بأعنـة

سـقَوني وقـالوا لاتُغـنِّ ولـو سقـوا

جبـال حُنـينٍ مـا سُقـيتُ، لغنّـتِ

هذه القصيدة العظيمة، والتي وجدناها في خمسة مواضع، أي خمس مخطوطات، قد تركت بصمة واضحة في الشعر الصوفي، بصفة عامة، وقد يكون لها ترتيب آخر، وهنا نلاحظ التأثر، بل والاستنساخ للقالب والمعنى

لتائية ابن الفـارض المشهورة والتأثر واضح في القالب والمعنى في مطـولته، الذائعة الصيت والتي منها النص الآتي، رغم أن كتاب ماسينون نسبها إلى سمنون المحب، والمقطع (أباحت دمي) للعز المقدسي وهذا خطأ واضح، فقد أثبتنا علاقتها بالمقاطع المتصلة ووحدتها. **يقول ابن الفارض:**

جَلــتْ في تجلِّيهــا الوجــود لناظــري
فــفي كــل مرئــيّ أراهــا برؤيــتي
وأُشــهدت غيبــي إذ بــدت فوجدتّــنُي
هنالــك إيــاها بِجــلوة خَـلوتــي
ففـي الصـحو بعـد المحـو لم أكُ غيـرها
وذاتي بــذاتي إذ تجــلتْ تجلــت
فوصــفي إذا لم تــدع بــاثنين وصفُــها
وهيئتهــا -إذ واحــدٌ نحــن- هيئــتي
فــإن دُعيــت كنــتُ المجيــب وإن أكــن
منــادىً أجابــت مــن دعــاني ولبّــَت
فقــد رفعــت تــاء المخــاطب بيننــا
وفي رفعهــا عــن فُرقــة الفــرق رفعتــي
فــلا فلــكٌ إلا ومــن نــور باطــني
بــه مَلَــكٌ يهــدي الهــدى بمشيئــتي

ولا قطـر إلا حـل مـن فيـض خاطـري

بـــه قطـــرةٌ عنهـــا السحـــائب ســـحّت

ولـــولاي لم يـوجـــد وجـــودٌ ولم يكـــن

شـــهودٌ ولامتُعهـــدْ عهـــودٌ بـــذمتي!

وكـل الجـهات الست نحـوي توجـهت

بـــما تـــم مـــن نســـكٍ وحـــج وعمـــرة

لهـــا صـــــلواتي بالمقـــــام أُقيـــــمها

وأشـــهد فيهـــا أنهـــا ليَ صـــلَّتِ

كلانـــا مُصـــلٍّ واحـــدٌ ساجـــدٌ إلـــى

حقيقتـــه بـــالجمع في كـــل ســـجدة

ومـا كـان لي صـلى سـواي ولـم تكـن

صـــلاتي لغـــيري في أدا كـــل ركعـــة

ففـــي النشـــأة الأولـــى تـــرآءت لأدمٍ

بمظهـــر حـــوا قبـــل حـــكم النبـــوة

وتظهـــر للعشـــاق في كـــل مـــظهرٍ

مـــن اللـــبس في أشـــكال حســـنٍ بديعـــة

ففـــي مـــرة لبـــنى وأخـــرى بثينـــةً

وآونـــةً تـــُدعى بعـــزةَ عَـــزّتِ

ولســـن ســـواها، لا، ولا كـــن غيرهـــا

ومـــا إنْ لهـــا في حســـنها مـــن شريكـــة

وفيَّ شـــهدت الســـاجديـــن لمظهـــري

فحقـــــقتُ أني كنـــــتُ آدم ســـــجدتي

فبـــي مجلـــس الأذكـــار ســـمعُ مُطالـــعٍ

ولي حـــــانة الخـــــمار عـــــين طليـــــعة

ومـــا عقـــد الزنـــار حكمـــا سويئـــدي

وإن حُـــلَّ بالإقـــرار بي فـــهي حلّـــت

وإن نـــار بالتـــنزيل محـــراب مســـجدٍ

فـــما بـــار بالإنجـــيل هيـــكل بيعـــة

وأســـفار تـــوراة الكليـــم لقومـــه

ينـــاجي بهـــا الأحبـــار في كـــل ليلـــة

وإن خـــرّ للأحجـــار في البُـــدِّ عـــاكفٌ

فـــلا وجـــه للإنكـــار بالعصبـــية

ومـــا زاغـــت الأبصـــار مـــن كـــل ملـــة

ولا راغـــت الأفـــكار مـــن كـــل نحـــلة

ومـــا احتـــار مـــن للشـــمس عـــن غِـــرةٍ صـــبا

وإشراقـــه مـــن نـــور إشراق غُـــرتي

وإن عبـد النـار المجـوس ومـا انطفـت

كـما جـاء في الأخبـار في ألـف حجـة

فـما قصـدوا غـيري وإن كـان قصدهـم

سـواي وإن لم يُظهـروا عـقـد نيّـة

وإن خطـرت لي عـن سـواك إرادةٌ

عـلى خـاطري يومـا حكمـتُ بـردتي

ومـا حـيّ إلا مـن حيـاتي حيـاتهُ

وطـوع مـرادي كـل نفـسٍ مريـدةِ

أيا مولاي:

أيـا مـولاي دعـوة مستجيـرٍ بِقُربِـكَ في بعـادك والتسـلِّي

لقـد أوضـحت أوضـاح المعـاني بعرضـكها بـأثواب الـتجلي

شغلتَ جوارحي عـن كـل شغل فكـلي فيـك مشـغولٌ بكـلِّي

عليك يانفس:(مخلع بسيط)

عليـك يـا نفـسُ بالتسـلِّي العـزُّ بالـزُّهد والـتخلي

عليـك بالطلعـة التـي مِشكـ ـاتها الكشـف والـتجلي

قـد قـام بعضـي ببعضـي وهـام كـلِّي بكـلِّي

إذا هجرت:

إذا هـجـــــرتَ فمـــــن لي ومـــــن يُجَمِّـــــل كـــــلِّي
ومـــــن لـــــروحي وراحـــي ياأكثـــــــري وأقـــــــلِّي
أحبَّـــــك البـــــعض مـــــني فقـــــد ذهبـــــتَ بكـــــلي
يـــــا كـــــلَّ كـــــلِّي فكـــــن لي إن لم تكـــــن لي فمـــــن لي
يـــــا كـــــل كلـــــي وأهلـــــي عنـــــد انقطاعـــــي وذُلـــــي
مـــالي ســـوى الـــروح خـــذها والـــروح جهـــدُ المُقـــلِّ

وردت في مخطوطات القزويني أحد ورثة تراث الحلاج كما ذكر ما سينون.

كن لي كما كنت:

كـــــن لي كـــــما كنـــــتَ لي في حـــــين لم أكـــــنِ
يـــــا مـــــن بـــــه صـــــرتُ بـــــين الـــــرُّزء والحـــــزن
كـــــن لي كـــــما كنـــــتَ لي في حـــــين لم أكـــــنِ
يـــــا مـــــن بـــــه صـــــرتُ بـــــين الـــــرُّزء والحـــــزن

ياعوضي: (مجزوء الكامل)

ياعـــــوضي مـــــن عـــــوضي وصـــــحتي مـــــن مـــــرضي
يـــــامن هـــــواه دائـــــمًا في مهجتـــــي لا ينقضـــــي
هيّمـــــتَ قلبـــــي ســـــيدي والقلـــــب بالقـــــُفْل رضي
أفنيـــــــتني أضنيـــــــتني قلبـــــي بذكـــــراك رضي

مازلتُ أطفو:

مـا زلـتُ أطفُـو في بحـار الهـوى ... يــرفعني المــوج وأنْحَــطُّ

فتــــارةً يــــرفعني موجُهــــا ... وتــــارةً أهــــوي وأنغَــطُّ

حتــى إذا صــيّرني في الهــوى ... إلى مكــــان مــــاله شــــطّ

ناديــتُ يــامن لم أبُــح باسمــه ... ولم أخنْــهُ في الهــوى قــطُّ

تَقِيكَ نفـسي السـوءَ مـن حـاكمٍ ... مــا كـان هــذا بيننـا شرطُ

لا تخلو هذه النصوص الحلاجية من روح الدعابة، كما في هـذه المقطوعة وكما في (مالي جُفيتُ وكنت لا أجفى)، ومقطوعة: (هبني ادعيتُ بأني مُدنفٌ سقمٌ).

رغم أنها نسبت الأولى للجنيد البغدادي والثانية لأبي العتاهية بحسب كتاب ماسينون الذي لم يجد الدليل على نسبتها للحلاج والوثائق التي ظهرت بعد ذلك أكدت صحتها للحلاج.

مكانك في قلبي:

مكانُــك في قلبــي هــو القلــب كلُّــهُ

فلــيس لشــيءٍ فيــه غــيرك موضــعُ

وحطَّتـك روحـي بـين جلـدي وأعظمـي

فكيــف تــراني إن فقــدتك أصــنعُ

حملت بالقلب:

حملتُ بالقـلب مالا يحمل البَدنُ ... والقلب يحمل مالا تحمل البُدن

يا ليتني كنت أدنى من يلوذ بكم ... عينا لأنظـركم أم ليتني أذُنُ

والله لو حلف:

والله لوحـــــلف العشـــــاق أنهـــــمُ
مــوتَى مــن الحــبِّ أو قــتلى لَــمَا حنشــوا
قــومٌ إذا أُهجــروا مــن بعــد مــا وصــلوا
مــاتوا وإنْ عــاد وصْــلٌ بعــده، بُعثــوا
تــــرى المحبـــين صرعـــى في ديـــارهِمُ
كفتيــة الكــهف لا يــدرون كــم لبثــوا

حويتُ بكلي:

حَـويتُ بكلِّي كلَّ حبِّك ياقدسي تُكاشفني حتى كأنك في نفسِي
أُقلب قلبي في سـواك فلا أرى سوى وحشتي منه ومنـتك به أنسي؟
فها أنا في حبس الحياة مجمعٌ من الإنس فاقبضني إليك من الحبْسِ

أجريتُ فيك:

أجـــريتُ فيـــك دمـــوعي فـالـــدمع منـــك عليـــكا
وأنـــت غـــــايةُ ســـــؤلي والطـــرفُ وســـنى عليكـــا
فـــإنْ فَـــنَى فيـــك بعضـــي حُفـــظتُ منـــك لديـــكا

نسبت أو استعارها القزويني بحسب ما سينون.

إن كتابي يا أنا (مجزوء الرجز):

إنَّ كتـــابي يـــا أنـــا ... عـــن فـــرط ســـقمٍ وضـــنا
وعـــن فـــؤاد هـــائـــم ... وعـــن ســـقام وعنـــا
وعـــن بكـــاءٍ دائـــمٍ ... جـــرى فـــأجرى الســـفنا
وعـــن جفـــون أرقـــتْ ... فـــما تـــذوق الوســـنا
وعـــن نحـــولٍ ساقـــني ... طوعـــا إلى فنـــا الفنـــا
فـاكفف مـلا مـي عـاذلي ... فقـــد فقـــدت الســـكنا
وغـــاض مـــاء أدمـــعي ... وصـــار عيشـــي محنـــا
وغـــاب مـــن عُـــذت بـــه ... ولم يـــزل لي وطنـــا
أتلفـــت فيـــه مهـــجتي ... وصـــار شـــوقي ديدنـــا
وصـــار مـــذ ســـار بـــه ... نضـــوي لغـــير مرسنـــا
يـــا أيهـــا الحـــق الـــذي ... يـــدنو إليـــه مـــن دنـــا
مـــا لي رُميـــت بالضـــنى ... وبالصـــــدود والونـــــا
مـــا لي جفـــا معـــذبي ... ومـــا جفـــوت المعدنـــا
فلِـــمْ جـــرى ذا يـــا أنـــا ... بحـــق حـــقِّ الأمنـــا
أردد جـــواب والـــهٍ ... خاصـــم فيـــك الحـــزنا
فأوصـــلوا الوصـــل لـــه ... بهجـــر هجـــر القُرنـــا
وراقبـــوا العهـــد الـــذي ... أمطـــر فينـــا المِننـــا
فمثلـــكم يـــا ســـادتي ... أجمـــل ثـــم أحسنـــا

يـــا واهبـــي الســـؤلَ أمـــا تـــرون شـــوقي معلنـــا
شهـــــودهُ ضـــــرورةٌ حقـائـــقي قـــد بيّنـــا
منـــك دعـــاني مـــا دعـــا فجئتـــه بـــلا أنـــا
جئـــت إليكـــم بكُـــمُ فصرتـــمُ لـــي وطنـــا

بعضهم تأثر بهذا النظم وكتب قصيدة يقول فيها:

منـــذ دخلـــت اليمنـــا لم أر شـــيئًا حســـنا

وهناك العديد من الأغاني اليمنية على نمط هذا المجزوء.

نعم الإغاثة:

نعـــم الإغاثـــةُ رمـــزٌ في خفـــا لُطُـــفٍ
في بـــارقٍ لاح فيهـــا مـــن حُـــلى خـــلَلِهْ
والحـــالُ يرمقنـــي طـــورًا وأرمُقـــهُ
إن شـاء يغشـى عـلى الإخـوان مـن قُلَلِـهْ
حـــالٌ إليـــه رأى فيـــهِ بهمّتـــهِ
عـن بحـر فـيضٍ مـن التمويـه مـن مِلَلِـهْ
فالكـــلُّ يَشـــهدهُ كُـــلًّا وأشهـــدهُ
مـع الحقـيقة لا بالشـخص مـن طَـلَلِهْ

١٠- الحضور والغياب:

كفى حزنًا:

كفى حزَنًا أني أناديك دائمًا كأني بعيدٌ أو كأنك غائبُ

وأطلب منك الفضل من غير رغبةٍ فلم أر قبلي زاهدًا فيك راغبُ

يلاحظ هنا تأثر قبلي، بما قاله أبو محجن الثقفي، في قصيدته التي مطلعها:

كفى حزنًا أن تُطعن الخيل بالقنا وأتركُ مشدودًا عليَّ وثاقيا

وتأثر بعدي لأحد الشعراء يقول فيه:

كفى حزنًا أنا جميعًا ببلدة ويجمعنا في أرضها شر مشهدِ

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا عسيرٌ كلقيا ثعلبٍ والمبرِّدِ

طلعت شمس:

طلعت شمس من أُحبُّ بليلٍ فاستنارت فما لها من غروبْ

إن شمس النهار تطلع بالليل وشمس القلوب ليس تغيبْ

من أحبّ الحبيب طار إليهِ اشتياقًا إلى لقاء الحبيبْ

غبتَ وما غبتَ:

غبتَ وما غبتَ عن ضميري فمازجتْ فرحتي سروري

وانفصل الفصل بافتراقٍ فصار في غيبتي حضوري

فأنت في سرِّ غيب همي أخفى من الوهم في حضوري

تُؤنسني بالنهار حقًّا وأنت عند الدُّ جَى سميري

العين تبصر:

العــين تبصـــر مـــن تهـــوى وتفقـــدهُ

وناظـــر القـــلب لايخـــلو مـــن النظـــر

إنْ كـــان لـــيس معـــي فالـــذكر منـــه معـــي

يـــراه قلبـــي وإن قـــد غـــاب عـــن بـــصري

نسبت للقزويني بحسب كتاب ما سينون.

أشار لحظي:

أشـــار لحظـــي بعيـــن علـــمِ بخـــالص مـــن خفـــي وهْـــمِ

ولائـــح لا ح في ضميـــري أدق مـــن فهْـــم وهْـــم همِّـــي

وخضـــت في لُـــجِّ بحـــر فكـــري أمُـــرُّ فيـــه كمـــرِّ ســـهمِ

وطـــار قلبـــي بـــريش شوقـــي مُرَكَّـــبٌ في جنـــاح عزمـــي

إلى الـــذي إن ســـئلت عنـــه رمـــزت رمـــزًا ولم أســـمِّي

حتـــى إذا جُـــزتُ كـــل حـــدٍّ في فلـــوات الدنُـــوِّ أهمِـــي

نظـــرت إذْ ذاك في سجـــالٍ فـــما تجـــاوزتُ حـــدَّ رســـمي

فجئـــت مستســـلمًا إليـــه حـــدُّ قيـــادي بكـــفِّ سِـــلْمِي

قـــد وَسَـــمَ الحـــبُّ منـــه قلبـــي بِمَيْسَـــمِ الشـــوق أيّ وسْـــمِ

وغـــاب عنـــي شهـــود ذاتي بـــالقرب حتـــى نسيتُ اســـمي

الكثير من أغاني الموالد والحضرات، والتي تغنى بالدفوف، ويحصل معها التمايل، والتأرجح إلى الأمام والخلف، وأحيانا الوقوف أيضًا لإبداء النشوة،

ونشهده في مختلف الحلقات الصوفية في كل أنحاء البلدان العربية وما كنا نسمعه في الماضي من المداحين المتجولين، الكثير من هذه النصوص قد جاءت على هذا الوزن، وأحيانا على نفس القافية.

وغالبًا ما تكون متبوعة بجملة: الحمدُ للهْ.. الحمد للهْ.

فمالِيَ بعْدٌ:

فـــمَا لِيَ بَعْـــدٌ، بعـــدَ بُعـــدكَ بعدمـــا
تيَقّنْـــتُ أنّ البُعـــدَ والقـــربَ واحـــدُ
وإنِّي وإنْ أُهْجِـــرتُ فالهجـــر صاحبـــي
وكيـــف يصـــحُّ الهجـــر والحـــب واحـــدُ
لـــك الحمـــدُ في التوفيـــق في محـــض خـــالصٍ
لعبـــدٍ زكـــيٍّ مـــا لغيـــرك ساجـــدُ

لم تغيره:

لم تغيـــرهُ رســـومُ لا، ولا عهـــدٌ قديـــمُ
سِمـــة الوجـــدِ عليـــهِ وهْـــو بالـــوجـــد يهـــيمُ

كلماتٌ راقصة عميقة المعنى، ولا يصحُّ إلاّ أن تُغنَّى.

١١- السكر والصحو:

سكرت من المعنى:

سـكرتُ مـن المعنـى الـذي هـو طيـبُ

ولكـــن ســـكري بالمحبـــة أعجـــبُ

ومـــا كـــل ســـكران يُحـــدُّ بواجـــبٍ

ففـــي الحـــب ســـكرانٌ ولا يتـــأدبُ

تقـــوم الســـكارى عـــن ثمانـــين جـــلدةً

صُـــحاةً وســـكران المحبـــة يُصـــلبُ

نسمة من جنابه:

نســـمةٌ مُـــن جنابـــه أوقفتنـــي ببابـــه

جـــذبتني لوصـــله أبـــدًا واقترابـــهِ

واســـتراح الفـــؤاد مـــن هجـــره واحتجابـــه

طـــاب لـــي مـــا ســـمعته في الـــدجى مـــن عتـــابه

وعـــلى كـــل حالـــة سكرتـــي مـــن شـــرابهِ

هذا هو القالب الذي جاءت على وزنها القصيدة المغناة لأحمد عبد الرحمن الآنسي.

أيضًا:

جـــل مـــن نفـــس الصـــباح وبســـط ظلـــه المديـــد

ألهـــم القُـــمري النـــواح يشـــكي النـــا زح البعيـــد

طاب السماعُ:

طـــاب الســـماع وهبَّـــت النســـماتُ

وتواجـــدت في حانهـــا الســـاداتُ

ســـمعوا بـــذكر حبيـــبهم فتهتكـــوا

خلعـــوا العـــذار ودارت الكاســـات

طربـــوا فـــطابت باللقـــا أرواحهـــم

كتمـــوا فبانـــت مـــنهمُ حـــالات

شربـــوا بأقـــداح الصفـــا لمـــا صفـــوا

ســـكروا فلاحـــت مـــنهمُ رقصـــاتُ

ظهـــرت علـــيهم مـــن بواطـــن ســـره

كاســـات بِشـــرٍ كلهـــا راحـــاتُ

هطلـــت مـــدامعهم عـــلى وجنـــاتهم

وتصـــاعدت مـــن شـــوقهم زفـــرات

زاد الغـــرام بهـــم وفي أحشـــائهم

نـــارٌ وفـــي أكبادهـــم جمـــراتُ

فتعطـــرت ريـــح الصَّـــبا مـــن عطـــرهم

وسرتْ بنـــشر روائـــح، نفحـــاتُ

كفاك بأنّ السكر:

كفـــاك بـــأنّ السكر أوجـــد كُـــربتي

فكيـــف بحـــال السكر والســـكر أجـــدرُ

فحـــالاك لي حـــالان: صـــحوٌ وســـكرةٌ

فـــلا زلـــتُ في حـــاليَّ أصحـــو، وأســـكرُ

الكاس سهل لي الشكوى بمنتابم

لاحت على دكة الخمّار:

لاحـــت عـــلى دكَّـــة الخمّار أســـرارُ

وأشرقـــت مـــن وجـــوه القـــوم أنـــوارُ

وطـــاف بالبيـــت ســـاقٍ لا شـــبيه لـــه

هـــذا العقيـــقُ وهـــذا الرّبْـــع والـــدارُ

فاســـتيقظوا يـــا ســـكارى بعـــد رقـــدتكم

واســـتغنموا الوقـــت إن الوقـــت غـــدار

مـــن بـــاح بالســـرِّ كـــان القتـــل شيمتـــهُ

بيـــن الرجـــال ولم يـــؤخذْ لـــه ثـــارُ

١٢- الحلول والاتحاد:

أنا من أهوى:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا ... نحـن روحـان حللنـا بـدنا

فـــإذا أبصـــرتني أبصـــرته ... وإذا أبصرتـــه أبصـــرتنا

مُزجت روحي:

مُزجـت روحـك في روحـي كـما ... تُمـزجُ الخمْـرُة بالمـاء الـزلالْ

فـإذا مسّـــك شيـــئٌ مسّنـــي ... فـإذا أنـت أنـا في كـل حـال

جُبِلتْ روحك:

جُبلـت روحـك في روحـي كـما ... يُجْبَـلُ العنـبر بالمسـكِ الفتِـقْ

فـــإذا مسّـــكَ شيـــئٌ مسّنـــي ... فـــإذا أنـــت أنـــا لا نفتـــرقْ

عجبٌ منك ومني:

عجـــبٌ منـــكَ ومنّـــي ... يامنيـــــة المُتمنـــــي

أدنيتـــني منـــكَ حتـــى ... ظننـــتُ أنـــك أنِّـــي

وغبـــتُ في الوجـــد حتـــى ... أفنيتنـــي بـــك عنـــي

يـــا نعمتـــي في حيـــاتي ... وراحتـــي بعـــد دفـــني

مـــالي بغـــيرك أنـــسٌ ... مـــن حيـــث خـــوفي وأمنـــي

يـــا مـــن ريـــاض معانيـــهِ ... قـــد حـــوت كـــل فنِّـــي

وإن تمنـــــيتُ شـــــيئًا ... فـــأنت كـــل التمـــني

أنت بين الشغاف:

أنــت بــين الشــغاف والقلــب تجــري

مثــل جــري الــدموع في أجفــاني

وتُجِــل الضــمير جــوف فــؤادي

كحــلول الأرواح في الأبــدان

لــيس مــن ســاكنٍ تحــرك إلاّ

أنــت حركتــه خفــيَّ المــكان

يــاهلالًا بــدا لأربــع عشــرٍ

لــثمانٍ، وأربــع، واثنتــانِ

إ قتباس: الأغنية اليمنية المشهورة وهي تنسب إلى محي الدين بن عربي.

مــرضي مــن مريضــة الأجفــان علــلاني بــذكرها علــلاني

وقد سمعناها بلحنها المشهور، لأول مرة في خمسينات القرن الماضي من الشيخ علي أبو بكر باشراحيل.

اتحد المعشوق:

اتّحــد المعشــوق بالعاشــقِ وابتســم المومــوقُ للوامــقِ

واشــترك الشــكلان في حالــةٍ فامْتحقَــا في العــالم المــاحقِ

لما اجتباني:

لمّـــا اجتبـــاني وأدنـــاني وشرّفنـــي

والكـــل بالكـــل أوصـــاني وعرفنـــي

لم يبْـــقَ في القلـــب والأحشـــاء جارحـــةٌ

إلاّ وأعرفـــــهُ فيهـــــا ويعـــــرفني

خاطبني الحق:

خـــاطبني الحـــق مـــن جنـــاني فكـــان علمـــي عـــلى لســـاني

قرَّبنـــي منـــه بَعـــد بُعـــدٍ وخصـــني الله واصـــطفاني

أجبـــتُ لمـــا دُعيـــتُ طوعًـــا مُلبيـــا للـــذي دعـــاني

وخِفـــتُ ممّـــا جنيـــتُ قـــدمًا فـــوقع الحـــبُّ في الأمـــانِ

رأيت ربِّي:

رأيـــت ربي بعـــين قلـــبِ فقلـت مـن أنـت قـال أنـتَ

وجـــزتُ حـــد الدنـــوّ حتـــى لـــو يعلـــم الأيـــن أيـــن أنـــت

فلـــيس للأيـــن منـــك أيـــنٌ ولـــيس أيـــنٌ بحـــيث أنـــت

محـــوت إســـمي ورســـم جســـمي ســـئِلتُ عنـــي فقـــال أنـــت

وغـــاب عنـــي حفيـــظ قلـــبي عرفـــت سري فـــأين أنـــت

أنـــت حيـــاتي وســـرُّ قلبـــي فحيـــثما كنـــتُ كنـــتَ أنـــت

أحطـــت علمـــا بكـــل شـــيئ فكـــل شـــيئ أراه أنـــت

فمُـــــنّ بـــــالعفو ياإلـــــهي فلـيس أرجـو سـواك أنـت

أعيد ترتيبها بالكامل، وهي على غرار(أشار لحظي)، وقد جاءت على وزنها قصيدة:

غنـــى عـــلى نـــايف البواســـق مُطـــوقٌ في دجـــى الظـــلام

لأحمد عبد الرحمن الآنسي وهي من (مخلع البسيط)

وحَّدني واحدي:

وحَّـدني واحـدي بتوحيـد صـدقٍ مـا إليـه مـن المسـالك طُـرْقُ

أنـا حـقٌّ والحـقُّ للحـقِّ حـقٌّ لابـسٌ ذاتـهُ فـما ثـمّ فـرقُ

قـد تجلّـت طوالـعٌ زاهـراتٌ يتشعشـعن واللوامـع بـرقُ

تصحيح: أنا حقٌّ، تجلت، واللوامع، وقد وردت هنا كلمة يتشعشعن التي عيبَ عليها كما أوردنا في النص السابق.

صيرني الحق: مخلع بسيط

صـــيّرني الحـــق بالحقيقـــة بالعهـد والعقـد والوثيقـة

شـــاهد سري بـــلا ضـــميري هـــذاك سري وذي الطريقـــة

ركوب الحقيقة:متقارب

ركـوب الحقيقـة للحـقِّ حـقُّ ومعنـى العبـارة فيـه يـدِقُّ

ركبـتُ الوجـود بعـين الوجـود وقلبـي عـلى قسـوةٍ لا يـرِقُّ

ياطالما غبنا: رجز

يـا طالمـا غبنـا عـن اشبـاح النظـر بنقطـة يحكـي ضـياؤها القمـرْ

مـن سمسـمٍ وَشـيْرَجٍ وأحـرفٍ وياسـمينٍ في جبـينٍ قـد سُـطرْ

تمشـوا ونمـشي ونـرى أشخاصكم وأنتُـمُ لا ترونَّـا يـا دُبَـرْ

قد تصبّرتُ: مجزوء رمل

قـد تصـبَّرتُ وهـل يصـ ـبرقلـبي عـن فـؤادي

مازجـت روحـك روحـي في دنـوٍّ وبعـادِ

فأنـا أنـت كـما أنـك أنّـي ومُـرادي

تذكرنا بأغنية: ذا نيسم القرب نسنس وشفا سقم المحبين

آهٍ أنا أم أنت:

آهٍ أنـا أم أنـت هـذين إلـهيـن

حاشـاي حاشـاي مـن إثبـات إثنـين

هـويّةٌ لـك في لآئـيتي أبـدًا

كـلٌ عـلى الكـلِّ تلبـيسٌ بوجهيـنِ

فـأين ذاتُـك عنـي حيـث كنـت

أرى فقـد تبـيّن ذاتي حيـث لا أيـنِ

وأيـن وجهـك مقصـودٌ بنـاظرتي

في نـاظر القلـب أم في نـاظر العـينِ

بينـي وبينـك إنِّـيٌ يـزاحمنـي

فارفـع بأنـك إنـيٌّ مـن البـينِ

جدلية اللفظ والمعنى، التي نوردها هنا، لا تعني بأي حال اعتقاد الحلاج بالتثنية، أي بوجود إلهين، والدليل في هذه المقطوعة.

جدلية

أنا أنت: رجز

أنـــا أنـــت بـــلا شـــكٍّ فسبحـــانك سبـــحاني

وتوحيـــدك توحيـــدي وعصـــياناك عصـــياني

وإســـخاطك إســـخاطي وغـــفرانك غفـــراني

ولمْ أجْلـــد يـــاربِّي إذا قيـــل هـــو الـــزاني

ذكر ماسينون أنها لشاعر مجهول ولم يصنفها بين قصائد الحلاج.

١٣- اللاهوت والناسوت:

سبحان من أظهر

سـبحان مـن أظهـر ناسـوتهُ سـرَّ سـنا لاهـوته الثـاقب

ثـم بـدا في خلقـه ظـاهرا في صـورة الآكـل والشـاربِ

حتـى لقـد عاينـه خلقـه كلحظة الحـاجب بالحاجبِ

دخلت بناسوتي:

دخلـتُ بناسـوتي لـديك عـلى الخلـقِ

ولـولاك لاهـوتي، خـرجت مـن الصـدقِ

فـإن لسـان العلـم للنطـق والهـدى

وإن لسـان الغيـب جـلَّ عـن النُطـق

ظهـــــرتَ لقـــــوم والتبســـــت لفتيـــــةٍ

فتــاهوا وظلــوا واحتجبــت عــن الخــلقِ

فتظهـــر للألبـــــاب في الغـــــرب تـــــارةً

وطــورًا عــلى الألبــاب تغــرب في الشــرق

هيكلي الجسم: رمل

هــيكليُّ الجســم نــوريُّ الصــميم صــمديُّ الــروح ديّــانٌ علــيم

عـــــاد بـــــالروح إلى أربـــــابها فبقى الهيكل في التُّربِ رميم

شيءٌ بقلبي: بسيط

شـــيءٌ بقلبـــي وفيـــه منـــك أســـماءُ

لا النــور يــدري بــه كــلاّ ولا الــظلمُ

ونـــور وجهـــك سرٌّ حـــين أشـــهدهُ

هــذا هــو الجــود والإحســان والكــرمُ

فخـــذ حـــديثيَ حِبـــي أنـــت تعلمُـــهُ

لا اللــوح يــدري بــه حقًّــا ولا القــلمُ

١٤- التقديس والتنزيه :

مافي صفاتك: بسيط

التقدس بدلًا عن التقديس ليستقيم العروض.

حقيقة الحق:

حقيقـــةُ الحـــقِّ مـــُستنيرُ صارخـــةً بالنَّبـــا خبيـــرُ

حقيقـــة الحـــق قـــد تجـــلّتْ مطـــْلبُ مـــن رامهـــا عســـيرُ

أنتَ المولّهُ:

أنـــت المولّـــهُ لا لي الذِّكـــر ولَّـــهني

حاشـــا لقلبـــيَ أنْ يعلـــقْ بـــهِ ذكـــري

الـــذكر واســـطةٌ تخفيـــك عـــن نظـــري

إذا توشّـــحهُ مـــن خـــاطري فكـــري

وأيُّا الأرض:

وأيُّ الأرض تخلـو منـك حتـى تعـالَوا يطلبونـك في السمـاءِ

تـراهـم ينظـرون إليـك جهـرًا وهُـم لا يبصـرون من العمـاءِ

بيان بيان الحق:

بيـــان بيـــان الحـــق أنـــت بيانـــهُ

وكـــل بيـــان أنـــت منـــه لســـانهُ

أشرت إلى حـــقٍّ يحـــقٍّ وكـــل مـــن

أشـــار إلى حـــقٍّ فأنـــت أمـــانه

تشـــير بحـــق الحـــق والحـــق نـــاطقٌ

وكـــل لســـانٍ قـــد أتـــاك أوانـــهُ

إذا كـــان نعـــتُ الحـــق للحـــق بينًـــا

فـــما بالـــه في النـــاس يَخْفَـــى مكانـــه

رقيبان منِّي:

رقيبـــان منـــي شاهـــدان لحبـــه

وإثنـــان منـــي شـــاهدان تـــراني

فمـــا جـــا ل في سري لغـــيرك خاطـــرٌ

ولا قـــال إلا في هـــواك لســـاني

فـإن رمـتُ شرقًـا أنـت في الشـرق شرقـه

وإن رمـــتُ غربًـــا أنـــت نصـــب عيـــاني

وإن رمـــتُ فوقًـــا أنـــت في الفـــوق فوقـــه

وإن رمـــتُ تحتًـــا، أنـــت كـــلُّ مـــكان

وأنـــت محـــل الكـــل بـــل لامحلـــه

وأنـــت بكـــل الكـــل لـــيس بفـــاني

فقلبـــي وروحـــي والضـــمير وخاطـــري

وتـــرداد أنفـــاسي، وعقـــدُ جَنـــاني

اسمٌ مع الخلق:

اسمٌ مع الخلق قد تاهوا به ولهًا ... ليعلموا منه معنىً من معانيهِ

والله لا وصلوا منه إلى سببٍ ... حتى يكون الذي أبداهُ يُبديهِ

سرائر الحقِّ لا تبدو لِمُحتجبٍ ... أخفاه عنك فلا تَعرض لَمخفيهِ

لا تعني نفسك فيما لستَ تدركهُ ... حاشا الحقيقة أن تبدو فتُوفيهِ

الأبعاد الفلسفية في قصائد الحلاج عمومًا، لا نتدخل بها، فهي بحاجة إلى دراسات خاصة على يد مختصين، أو علماء صوفيه، ولغويين كبار، إنما في هذا البحث نشير إلى العلاقة، بالقصيدة الغنائية المغناة في اليمن، التي نحاول أن نعقد صلة بينها وبين هذه النصوص، إنما قد يدفعنا الفضول أحيانًا إلى إبداء بعض الآراء.

المضارع والأمر يتحدان في (أبداه يبديه) على ذلك النسق الذي جاء في القرآن الكريم، حيث يتداخل الماضي والحاضر، والمستقبل حتى تكاد تخلو كلمة الزمن في القرآن تمامًا، باعتباره مخلوقًا، رغم ذكر جميع تفاصيل الزمن بكاملها لمالها من علاقة بحياتنا، وبالتشريع، فاللبُوث والمُكث والساعة، واليوم، والشهر، والقُروء، والعام والقرن والدهر والأحقاب في الوقت الذي ذكرت فيه الأعداد كلها من واحد إلى عشرة. وهذا ما يدلنا على أن الحلاج كان مستوعبًا للخطاب القرآني تمامًا، ولم يجدِّف فيه.

- أضيفت كلمة (به) ليستقيم المعنى والوزن في البيت الأول.

وقصرت عقلي:

وقصّـَرتُ عقـلي بالهويـة طالبًـا فعاد ضعيفًا في المطالب هاريا
وفيـتَ لـرب العـالمين بنصـرة فلا تتعجل في التطلب جاريا
تحقّـقْ بـأنّ الحـق لـيس بمـدركٍ فمـن يدّعـيه جـاهلًا ومرائيـا
ولكنـه يبدومـرارًا فيختفـي فيعـرفهُ من كان بالعلم خـاليا

وردت للقزويني بحسب كتاب ماسينون ضمن القصائد المستعارة.

ياموضع الناظر:

يـا موضـع النـاظر مـن ناظـري ويـا مكـان السـر مـن خاطـري
ياجملـة الكـل التـي كلهـا أحب من بعضي ومن سائري
تـراك ترثـي للـذي قـلبه معـلقٌ في مخـلبي طـائر
مدلّـهٌ حيـران مستـوحشٌ يهـرب مـن قفـرٍ إلى آخـر
يسـري ومـا يـدري وأسـراره تسـري كلمـح البـارق النـائر
كسـرعة الـوهم لمـن وهمـهُ عـلى دقيـق الغـامض الغـابر
في لُـجِّ بحـث الفكـر تجـري بـه لطـائفٌ مـن قـدرة القـادر

لاحظ الرؤية الكونية للوجودوالإلتفاتة إلى نسبية الزمن والسرعة والتعبير الرائع للحيرة القصوى وجمال الاشتقاق والتوليد للمفردات، وذلك التشابه الشبه كامل مع الأبيات التي تنسب إلى غزالة وهي تخاطب الحجاج:

أسـدٌ عـليَّ وفي الحـروب نعامـةٌ فتخاء تجفلُ من صفير الصافر
هـلا بـرزت إلى غزالـة في الـوغى أم أن قلبـك في جنـاحيْ طائرِ

١٥- المحنة والخلاص:

أريدك لا أريدك:

أريـــدك لا أريـــدك للثـــواب ولـــكنيِّ أريـــدك للعقـــابِ

فكـــل مـــآربي قـــد نلـــت منهـــا سـوى ملـذوذ وجـدي بالعـذابِ

دنيا تخادعني:

دنيـــا تخـــادعني كأنـــي لســـت أعـــرف حالهـــا

ذم الإلـــه حرامهـــا وأنـــا اجتنبـــتُ حلالهـــا

مَـــدّت إليَّ يمينهـــا فـــرددتها وشـــمالها

مَـــدّت إليّ شمالهـــا فـــرددت جملتهـــا لهـــا

ومتـــى عرفـــت وصـــالها حتـــى أخـــاف ملامهـــا

١٦- الكفر والإيمان:

كفـــرتُ بـــدين الله والكفـــر واجـــبٌ

لـــديّ وعنـــد المســـلمين قبـــيحُ

نشكُّ بصحة نسبة هذا البيت اليتيم إلى الحلاج، وإن كان قد ذكر ذلك في بعض الأقوال المنسوبة إليه، حيث يُفرق بين الكفر والإيمان من جهة باعتبارهما متلازمتان (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن-الحديث الشريف) ومن ناحية بين الكافرين والمؤمنين.

إذا بلغ الصَّبُّ:

إذا بلــغ الصـــبُّ الكـــمال مـــن الفتـــى

وغـــاب عـــن المـــذكورفي ســـطوة الـــدهر

فشـــاهد حقًـــا حيـــث يشـــهدُهُ الهـــوى

بـــأن صـــلاة العاشـــقين مـــن الكـــفرِ

عقد النبوة:

عقـــدُ النبـــوَّة مصـــباحٌ مـــن النـــور

مُعلـــقُ الـــوحيِ في مشكـــاةِ تـــامورِ

بـــاللهِ يـــنفخُ نفـــخَ الـــروح في جَلَـــدي

بخـــاطري نفـــخ اسرافيـــل في الصُّـــور

إذا تجـــلّى لطُـــوري أنْ يكلمنـــي

رأيـــت في غيبتـــي موســـى عـــلى الطـــورِ

ياشمس يابدر: مخلع بسيط

ياشمـــسُ يـــا بـــدرُ يانهـــارُ أنـــتِ لنـــا جنـــةٌ ونـــارُ

تجنـــبُّ الإثـــم فيـــك إثـــمٌ وخيفـــة العـــار فيـــك عـــارُ

يخـــلعُ فيـــك العـُــذار قـــومٌ وكيـــف مـــن لا لـــه عـــذارُ

جنوني فيك: هزج

جنوني فيك تقديسُ وعقلي فيك تـهويسُ

وقـد حيـرني حبٌّ وطرف فيه تقـويسُ

وقـد دلَّ دليـل الحبِّ أنّ القُـرب تلـبيسُ

فـمـن آدمُ إلاَّكَ ومـن فـي البـين ابليـسُ

لست بالتوحيد:

لستُ بالتوحيـد ألهـو غير أنـي عنه أسـهو

كيف أسهـو كيف ألهو وصحيحٌ أنني هُـوْ

من رامهُ:

مـن رامَـهُ بالعقل مسترشدًا أسرحه في حيـرةٍ يلهـوْ

قد شاب بالتدليس أسراره يقول في حيرته هل هـوْ

١٧- الموت والحياة:

وحرمة الودّ:

وحُـــرمة الـــودِّ الـــذي لم يكـــن يطمـــعُ في إفســـاده الدهـــرُ

مـــا نـــالني عنـــد هجـــوم البـــلا بـــأسٌ ولا مســـني الضُّـــر

مـــا قُـــدّ لي عضـــوٌ ولا مفصـــلٌ إلاَّ وفيـــه لكـــمُ ذِكـــرُ

لئن أمسيتُ:

لـــئن أمســـيتُ في ثـــوبي عـــديمِ فقـد بُليـــا عـلى حـــرٍّ كـــريمِ

فـلا يحزنْـك إن أبصــرت حــالًا مغــيَّرةً عــن العهــد القــديمِ

فـلي نفـسٌ سـتتلف أو سـتـرقَى لعمــر أبي، إلى أمــرٍ جســيم

تنسب بحسب ما سينون إلى سمنون مع أنها وصية الحلاج لولده.

ألا أبلغ أحبائي:

ألا أبلـــغ أحبـــائي بـأنـــي ركبتُ البحـر وانكسـر السفينة

عـلى ديـن الصـليب يكـون مـوتي ولا البطحـا أريــدُ ولا المدينـة

أقتلوني:

أقتلـــوني يـــا ثُقاتـــي إن في قتـــلي حيـــاتي

ومـــاتي في حيـــاتي وحيـــاتي في مـــاتي

وبقـــائي في صفاتـــي مـــن قبيـــح السيئـــات

أنـــا عنـــدي محـــو ذاتي مـــن أجـــلِّ المَكرُمـــات

ســـئمت نفســـي حيـــاتي في الرســـوم الباليـــات

فـــاقتلوني واحرقـــوني بعظـــامي الفانيـــات

ثـــمّ مـــروا بِرُفـــاتي في القبـــور الدارســـات

وازرعـــوا الكـــل بـــأرضٍ تُربُـــها تـــرب مَـــوَات

تجـــدوا ســـرّ حبيبـــي في طـوايـــا الباقيـــات

إننـــي شـــيخٌ كبيـــرٌ في عـــلوّ الدرجـــات

ثـــم إني صرت طفـــلًا في حُجُـــورالمرضعات

مـــن هـــواءِ ثـــم نـــارٍ ثـــمَّ مـــن مـــاءٍ فُـــرات

هيهات:

هيهـــات مـــا قتـــلوهُ كـــلا ولا صلبـــوهُ
لكنهـــم حيـــن غـابـــواعن وجـــدهِ شبّهـــوهُ
أحبابـــه حـــين غـــاروا عـــليه قـــد غيّبـــوهُ
ســـقوهُ صـــرفا ورامـــوا كتمـــان مـــا أوعـــدوهُ
فـــما أطـــاق ثبـوتـــا لثقـــل ماحمّلـــوهُ
فتـــاهَ سُـــكرًا ونـــادى أنـــا الـــذي أفـــردوهُ
يـــالائمي كيـــف أخفِـــي في الحـــب مـــا اظهـــروُه
أم كيـــف يكتـــم قلبًـــا بالشـــوق قـــد مزقـــوهُ

لاتلمني:

لا تلمنـي فاللـوم منـي بعيـدُ وأجِـرْ سيدي فـإني وحيـدُ
إن في الوعـد وعـدك الحـق حقـا إن في البدء بدء أمري رشيدُ
مـن أراد الكتـاب هـذا كتـابي فاقرأوا واعلمـوا بـأني شـهيدُ

أنا الذي نفسهُ:

أنـــا الـــذي نفسُـــهُ، شـوقُـــهُ
لحتفـــه عُنـــوةً وقـــد عـــلقتْ
أنـــا الـــذي في الهمـــوم مهجتـــه
تصـــيحُ مـــن وحشـــةٍ وقـــد غرقـــتْ
أنـــا حـــزينٌ معـــذبٌ قلـــقٌ
روحـــيَ مـــن أسْـــرُجها أبـــقتْ

كيـــف بقـــائي وقـــد رمـــى كبـــدي
بأســـهمٍ مـــن لحـــا ظـــه رُشـــقتْ
فلـــو لِفَطْـــمٍ تعرضـــت كبـــدي
ذابـــت بحـــرِّ الهمـــوم واحترقـــتْ
باحـــت بـــما في الضـــمير يكتمـــهُ
دمـــوعُ بـــثَّ بســـرِّهِ نطـــقتْ

لاتندر عند الحلاج مثل قافية السكون هذه، ولعلها تناسب النشيد الجماعي المُصاحب بعزف الدفوف أو ما شابه ذلك، وقد تم تعديل شوقه بدلًا عن تشوقهُ.

أما والذي لدمي:

أمـــا والـــذي لـــد مـــي حـــللا ومن خصَّ أهل الوَلا بالبلا
لـئن ذُقـتُ فيكَ كـؤوس الحمام لمـــا قـــال قلبـي لساقيـــه لا
ومـا كنـت ممـن تشـاكى الهـوى ولـو قـَدَّ ني مفصـلًا مفصـلا
رضـيت وحقـك كـل الرضـا إذا كـان يُرضيـك أن أُقـتلا
فـلا عيـب إن مُـتُّ مـوت الكـرام كما مات في الحبِّ من قد خلا

لاحظ المعنى في:

والله لـــو أني أذوق الحـــمام ماقلـت لـك يـادهر مهـلا

من قصيدة الله يعلم أنني مستهام-التي غناها القعطبي-وقائلها غير معروف ولاحظ اقتباس المعنى في: عش عزيزًا أو مت وأنت كريم – للمتنبي.

إلى حتفي:

إلى حتفـــي ســـعى قـــدمي أرى قـــدمي أراق دمـــي

فـــما أنفـــكّ مـــن نـــدم وهـــان دمـــي فهـــا نـــدمي

أنـــت في حـــلٍّ وفي ســـعةٍ مـــن دمـــي يـــامن أراق دمـــي

عظـــم حبـــي واحتراقـــي جوىً جعلاني لا أرى قـدمي

قل لإخوانٍ:

قـــل لإخـــوان رأوني ميتًـــا فبـــكوني إذ رأوني حزنـــا

أتظنـــون بـــأني ميتكـــم لســـت ذاك الميـــت والله أنـــا

أنـــا كـــنز وحجـــابي طـــلسمٌ مـــن تـــراب قـــد تهيـــا للفنـــا

أنـــا عصفـــورٌ وهـــذا قـــفصي كـــان ســـجني فابيـــتُ السِّـــجَنا

فاهـدموا البيـتَ ورضُّـوا قفصـي وذروا الكـــل دفينـــا بيننـــا

وقميصـــي مزِّقـــوه رِمـــا وذروا الطلسـم بعـدي وثنـا

فاخلعوا الأجساد عـن أنفسكـم تبصـــروا الحـق عيانـا بيِّنـا

مـــا أرى نفـــسي إلا أنتـــمُ واعتقـادي أنكـم أنـتم أنـا

عنصـــرُ الأنفـس شـيءٌ واحـــدٌ وكـذا الأجسام جسمٌ عمَّنـا

يستحضر الموت دائمًا، ويتخيله، ويتمناه ويستعد له، كما في هذه النصوص، كما أنه هنا يؤسس لفكرة واحدة الوجود الذي تبناها ابن عربي.

١٨- التوبة والرحمة:

إلى كم أنتَ:

إلى كـم أنـت في بحـر الخطايـا ... تُـعاند مـن يـراك ولا تـراهُ

وسَـمْتك سمت ذي ورع وزهـدٍ ... وفعلـك فعـل متبـع هـواه

ويـامن بـات يخلـو بالمعـاصي ... وعـين الله شـاهدة تـراه

أتطمـع أن تنـال العفـو ممـن ... عصيت وأنت لم تطلب رضاه

فتُـبْ قبـل المـمات وقبـل يـوم ... يلاقي العبد ما كسبت يداهُ[1]

وعلى سياقها:

تأهـب للـذي لا بـد منـهُ ... فـإن المـوتَ ميقـات العبـادِ

أتـرضى أن تكـون رفيـق قـومٍ ... لهـم زادٌ، وأنـت بغـير زاد

يارب إني إليك:

يـا رب إني إليـك ممـا ... جنيتـهُ تـا ئـبٌ منيـبُ

أسـتغفر الله مستقـلًا ... والعبـد مماجـنى يتـوبُ

أرجـوك بـل قـد وثقـت أني ... مـن رحمـة الله لا أخيـب

ولـيس لي شـافع سواهـا ... إذا أضـرّت بي الـذنوب

---

(١) (النشيد الجنائزي المفضل أثناءالخروج بالجنازة إلى المحطة في مدينة إب) أسمعه منذ نعومة أظفاري، وقد نسبت هذه القصيدة محمد بن عمر بحرق الحضرمي، قاضي إب أيام عامر بن عبد الوهاب وهي للحلاج.

إرجع إلى الله:

إرجـــع إلى الله أن الغـــاية اللهُ ... فــلا إلــه إذا بــالغْتْ إلاّ هــو

وإنــه لمــع الحــق الــذين لهــم ... في الميم والعين والتقديس معناه

معناه في شفتي من حلّ مُعتَقَدا ... عن التهجي إلى خلقٍ به فاهوا

فإن تشكُّ فدبّرِ قول صاحبكــم ... حتى يقول بنفي الشك هذا هو

فــالميم يفتــحُ أعــلاه وأسـفلهُ ... والعـين يفـتح أقصــاه وأدنــاهُ

انظر ديوان عبد الرحيم البرعي:

قف بالخضوع وناد ربك ياهو

إنّ الكريـم يجيب من نـاداهُ

رأيت ربي:

رأيــت ربي بعــين قلــبِ ... فقلت من أنت قال أنتَ

وجـزتُ حـد الدنـوّ حتـى ... لـو يعلـم الأيـن أيـن أنـت

فلـيس للأيــن منــك أيــنٌ ... ولـيس أيـنٌ بحـيث أنـت

محـوت إسـمي ورسـم جسـمي ... سـئِلتُ عنـي فقــال أنـت

وغــاب عنــي حفيــظ قلــبي ... عرفـت سري فـأين أنـت

أنــت حيــاتي وســرُّ قلبــي ... فحيـثما كنـتُ كنـتَ أنـت

أحطـت علمــا بكـل شـيئ ... فكــل شــيئ أراه أنــت

فمُــنّ بــالعفو ياإلــهي ... فلـيس أرجـو سـواك أنـت

أعيد ترتيب هذه القصيدة بالكامل، وقد أوردناها سابقًا في فصل الحلول والاتحاد.

أشهر مطالع القصائد الغنائية اليمنية المغنّاة

حرف الألف:

- إبن عشر من السنين غلام رفعت عن نظيره الأقلام

عمر بن الوردي

- أحبّةْ رُبَى صنعا عجبْ كيف حالكم

وهل عندكم ما حلّ بالعاشق المضنى الآنسي

أخضر لِمَهْ تبخل عليْ بوصلك أخضر سباني بهجتك وخصرك

م ع شرف الدين

- أسكان الحمى بنتم وبان الرشد من عقلي

م بن حسين الحمزي

-أشرقت بهجة وعزت منالا أشهدتنا جمالها والجلالا

ع رح عيدروس

- أشرف عليا كالقمر من طاقة القصر المشيد

أحمد بن حسين المفتي/ -إبن إسحق؟

- أشكو من البين من يسمع لي الشكوى

وأرتجي طول دهري وصل من أهوى ع رالآنسي

- إعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

عمر بن الوردي

-إقبس متى شئت نار الشوق من كبدي

الؤواء الدمشقي

- الحبيب الذي مال عنا؟

محسن عبد الكريم إسحق

- السعيد الذي ما عرف كيف الهوى لا الذي فيه قد صار ناشب

محمد ع.ر.الآنسي

- السنا لاح.. حرم على اجفاني لذيذ الهجوع

م عبد الله شرف الدين

- الشوق أعياني يا قرة الأعيان

يحي بن إبراهيم جحاف

- ألا يا بارق الجرعى هل الجِزْع ممطورُ

وهل بالغواني ذلك السفح معمورُ

م إسحق

- إلهي ما لعبدك في النوايب سواك عُدة لغاربها وجُنة

ع رح الآنسي

- الله يعلم انني مستهام بمن سلب عقلي وولى؟

- الله يامن على العرش استويت-

علي بن ناصر القردعي

- المعنى يقول يامن سكن في فؤادي واحتجب في صدوده

م ع شرف الدين

- المعنى الكوكباني عذبه فتان أحوم

م عبد الرحمن كوكبان

- الناس عليك يا ريم أقلقوني

الفقيه مهير

- الهاشمي قال سحر العين يكفيني وكسرة الجفن عن بيض الظبا تكفيك

الهاشمي

- أنا من ناظري عليك أغار وار عني ما زال عنه الخمار

إبن هتيمل

- أنا يمني واسأل التاريخ ..... أنشودة وطنية حديثة

إبراهيم علي الصادق

- آه من فرقة الأحباب لا بلى الله بها مسلم

عبد الر حمن الآنسي

حرف الباء:

- بات ساهي الطرف والشوق يلُحُّ

والدُّجى إن يمض جنحٌ يأتِ جنحُ فتح الله بن النحاس

- بات سميري والبرايا هجود بدرٌ تجلى في ليالي السعود

يحي موسى بهران

- بالله قفوا بي واحدة النياق وخففوا حمل المطايا

أحمد ع ر الآنسي

- بخلت بالوصل عنا يا شرود أخطأت والله في بخلك عليّ

محسن بن عبد الكريم اسحق

- بدت فظننتها بدر التمام ولكن قد رمتني بالسهام

- بشراك هذا منار الحيِّ ترمقهُ وهذه دار من تهوى وتعشقهُ

م أبوبكر بن شهاب

- بلبل الجحف اليماني لم أزل منه مبلبل

عبد الهادي المسودي

- بكت سحب الاصيل دمًا لما بي

أحمد عبد الله السالمي

- بلغ الاحباب عنا يانسيم؟

حرف الحاء:

- حبيبي إن هذا اليوم عيدي فمالك لا تزور على الوعود

عبد الرحمن العتمي

- حميمة باتت تردد الحان تبكي فتبكيني بدمع شنان

م عبد الله شرف الدين

- حوى الغنج والتفتير والسحر أحومه

حيدر آغا

- حي روضة بها سؤل قلبي سكان

أبو بكر العيدروس

حرف الجيم:

- جل من للصباح قد زحزح مظلمات الدجى

عبدالرحمن الآنسي

- جل من نفس الصباح وبسط ظله المديد

أحمد عبد الرحمن الآنسي

حرف الخاء:

- خطر غصن القنا

مطهر الارياني

- خلي جفاني بلا سبب حِرِّي عليه ما سبب جفاه

ع الرحمن الآنسي

- خلي صقيل الترائب.....باهي الخديد المورد

محمد؟

حرف الدال:

- دع ما سوى الله واسأل

عبد الله محمد باحسين !!وهي..... لجابر رزق

حرف الذال:

- ذا نسيم القرب نسنس وشفى سقم المحبين

أبو بكر العيدروس

- ذاك العذول مستريح مما أعاني لو كان يدري بعشقي صبر؟

حرف الراء:

- رب بالسبع المثاني

محمد عبد الرحمن كوكبان

- رحمن يارحمن يامن فوق عرشك مرتفع؟

- رعى الله ليلة وصل خلت

بهاء الدين زهير

- رضاك خير من الدنيا وما فيها وأنت للنفس أشهى من تمنيها

مجهول

- رويدا بصب حليف الكمدْ؟

حرف الزاي:

- زمان الصبا يازمان الصبا عهودك رعاها الله

أحمد ع رالآنسي

- زمجري بالنار يا ارض الجنوب

أنشودة للشاعر البردوني

حرف السين:

- سألت العين حبيبك فين

عبد الله هادي سبيت. غناء موسؤ برجي

- سلام يامن سكن اب الغروب من بعد ما كان في قلبي مقيم

م ع ر كوكبان ١٣٢٦هـ

- سلام ياروضة الاهجر؟

- سلوعن فؤادي فقد كان معي

الحسن بن علي بن المتوكل بن القاسم

حرف الشين:

- شرح الدمع على متن الخدود ما ألا قيه من الظبي الشرود

عبد الرحمن العيدروس

- شدّت خيول العوالق ليتني عولقي من عولق البحر لا تشرب ولا ترتعي؟

- شقيق القمر أسفر بديجور فينانه - ؟

- شفت الآن غالي شبيه القمر

شعبان سليم

حرف الصاد:

- صادت فؤادي بالعيون الملاح

محمد عبد الله شرف الدين

- صادت عيون المها قلبي بسهم المحبة

حسين أبو بكر المحضار؟

حرف الطاء:

- طرب في سجوعه وكرَّر طير الغصون الرطيبةْ

عبد الرحمن الآنسي

حرف العين:

- عالم السر منا هب لنا ما نروم

جابر رزق٤٢ - ٧ مجلدات - ديوان زهر البستان في الغريب من الألحان

- عذيب اللمى عذب فؤادي وسمْسَمهْ ؟

- على العقيق اجتمعنا نحن وسود العيونِ

بهاء الدين زهير

- عليك سموني وسمسموني وبالملامة فيك عذبوني

محمد عبد الله شرف الدين

- عليك يا ناقض لتلك العهود سلام من وافي عهوده

حيدر آغا

- عيني لغير جمالكم لا تنظر

شاعر حضرمي

- عظيم الشان يسر لي مرادي

يحي عمر اليافعي؟

- عظيم الرجا يا كاسي الطير بالريَش

الحميدي

حرف الغين:

- غصن من عقيان أثمر بالقنا قد الحبيب فايق الغزلان والغيد

أحمد ع ر الآنسي

- غنى على نايف البواسق

أحمد عبد الرحمن الانسي؟

- غيري على السلوان قادر وسواي في العشاق نادر

إبن الفارض

حرف الفا:

- فرج الهم يا كاشف الغم منك فضلا بفضل المثاني

جابر رزق

- فايق الغزلان أقبَلْ كالقمر كامل ضياه

علي صالح العماري

حرف القاف:

- قال ابن جعدان يا طرفي لَهْ تسهرْ

إنْ شفتْ شيْ في طريقك واعجبك شِلِّهْ

- قال المعنى سمعت الطير يترنم؟

- قال ابن الاشرف من هجري بكيت حتى اشتكت من نحيبي أدمعي؟

- قال المعنى علينا للهوى ألف طاعة وللحبيب الأغن

السمرجي م.خليل

- قد كنت قبل اليوم ترعى الوفا تحبني باطن وظاهر

عبد الكريم أحمد إسحق

- قف بي على المسعى وباب السلام

أحمد ع ر الانسي

- قف بالخضوع وناد ربك ياهو إن الكريم يجيب من ناداه

عبد الرحيم البرعي

- قل لمن مال عنا واختفى واحتجب

حرف الكاف:

- كرام نحن ليس لنا نصيبُ وعشاق وليس لنا حبيبُ

حرف اللام:

- لقيت في المسقى جذا المحلة في مورد الما لي لقي

م عبد الله شرف الدين

- لله ما يحويه هذا المقام تجمعت فيه النفايس

عبد الرحمن الآنسي

- لمه لمه يامنى قلبي لِمَهْ تردّ طرفك على عابر سبيل

السعدي

- لي في رُبى حاجر غزيل أغيد ساجي الرنا

شهاب الدين إبن فليته

- لي في رُبى حاجرغزيل أتلع يسبي العقول

عبد الهادي المسودي

- ليس تعلم ما بقلبي ياحبيب إن قلبي فيه ما فيه

المزاح

- ليت بيض الأماني تساعد بالمنى والليالي تساعد بما انويتْ

الشرفي محمد أحمد

- ليت شعري لمه خلي اليوم اعتذر وابتلاني بذا الهجر والبين

ع ر الآنسي

حرف الميم:

- ما لأجفاني جفت طيب الوسن؟

- ما لقلبي لم يزل عشقه فنون في هوى حالي التثني والمجون

م بن حسين الحمزي

- ما لقلبي وللوجد والشوق الشديد

أحمد عبدالرحمن الآنسي

- ما وقفتك بين الكثيب والبان ولفتتك نحو النقا ونعمان

علي العنسي

- مال غصن الذهب مولى الخُديد المورد

أحمد ع ر الأنسي

- متى يا كرام الحي عيني تراكمُ

عبد الرحيم البرعي

- مرحبا ألف واجذا نعمانيا ياأمير الحسان

المزاح

- مرحبا بالربيع في آذار وبإشراق بهجة الأنوار

تنسب لأبي نواس؟

- مرضي من مريضة الاجفان

محي الدين إبن عربي

- من سب أهيف مبرقع والعبيد اثنين؟

- من سحر عينيك الأمان الأمان قتلت رب السيف والصولجان

إبن النبيه

- مسكين يا ناس من قالوا حبيبه عروس

علي بن علي صبره

- مطوق بات على الخمايل يسر صوته ويعلنه

عبد الله. ابو بكرالعيدروس

- من حل لك ياذا الرشا قتلي روح أنت في حل؟

- من ذاق طعم الهوى هانت عليه العظايم وذلّ له واحتكمْ

أحمد حسين المفتي

- معشوق الجمال نهب فؤادي جماله

م عبد الله شرف الدين

- من يبلغ غزال رامه مذهب الخد ساجي العين

حيدر آغا

حرف النون

- نسيم بلغ إلى الغاني لطيف الشمايل عني صحيح الخبر

أحمد ع ر الآنسي

- نعم نعم شكري لمولى النعم في كل حالة فرض لازمْ

محسن بن عبد الكريم

حرف الواو:

- واسيد أنا لك من الخدام شا ملِّككْ روحيَ الغالي

علي العنسي

- واحاليه واعذبة المُقبَّـل

- وا نسيم السحر هل لك خبر عن عُريبٍ بوادي المنحنى

إبن سناء الملك

- وا معلق بحبل الحب

أحمد بن إسحق أخو محمد

- وا مغرد بوادي الدور من فوق الاغصان

علي العنسي

حرف الياء:

- يا الله يامن على العرش استوى

علي بن ناصر القردعي

- يا أهيل الغرام هل على المستهام حق لأهل الملام

اسحق بن يوسف

- يا بدر يا عديني جننتني شليت نوم عيني؟

- يا بروحي من الغيد هيفا كالهلال حسنها شل روحي وعقلي

أحمد القارة

- يا بعيد المحلة وقلبي لك حِلال إن غيرك حبيب ما حلا لي

إسحق بن يوسف

- يا حمامي على داري ينوح أنت تبكي شجى قلبي الكليم

ع ر الانسي

- يا حما مي أمانه مادهاك

أحمد ع ر الآنسي

- يا حي يا قيوم يا عالم بما تخفي الصدور

ع ر الآنسي

- يارب يا ستار يا غفار يا منشي الرعود٠ (يا باشة الغزلان) ؟

- يا رب يارب لاطف عبدك الحائر

علي بن إبراهيم الأمير

- يارب اسألك بالجلالة وص يسر لنا الرزق الحلال

للقعطبي م ٦٩م مجهول

- ياربة الصوت الرخيم رجعي

عبد الرحمن الآنسي

- يارعى الله ايام منها الدهر غار والليالي تبدت لنا اعراس

احمد ع ر الانسي

- يا جزيل العطا نسألك حسن الختام فرج الهم واكشف مضيقه

أحمد ع رالآنسي

- ياريم صنعا يا نظر عيوني

الحسن بن الحسن-حميد الدين؟

- يا شاري البرق من تهامة رويدك اللمع والخفوق

ع ر الآنسي

- يا طير يا ناشر بصوء باكر أوحشت بالفرقة غصون الاشجار

ع ر الآنسي

- يا طير يا حالي الفنون ما اشجى هديرك في الفروع

ع ر الآنسي

- يا طلعة البدر في ديجور إغلاسِ يا من محبته تاجٌ على راسي؟

- يا ظبي صنعا بعسجد خدك المنقوش

علي بن صالح العماري

- يا ظبي صنعا اليمن خلي البعاد واسمح لصبك بزورة شافية

الفسيل

- يا ظبية البان ترعى في خمائله

الشريف الرضي

- ياغصن مايس يا قمر مصور في حندس الفينان..عبد الله بن أبي بكرالمزاح

- ياغصن لابس قميص أخضر مشجّر وطاس لازال عنك النما..ع رح الآنسي

- يامحجب عن الصب من جمعة رجب

أحمدع ر الآنسي

- يا مذهب الخد تفاح الوجن من كم فمهجتي من لماك قصدي أداويها

قاسم يح الأمير

- يا معلق بحبل الحب إن كنت ترتاح للغواني مثالي

علي احمد م. اسحق

- يا مغير القمر ان لاح جنح الغياهب

احمد بن الحسين الحمزي الكوكباني

- يا مغير الغزالة والغزال ها ك روحي وجد لي بالوصال

احمد ع ر الانسي

- يا قلبي المضنى عليش ترتاب ثق بالذي للمشكلات حلا

الحسن بن جابر الهبل

- يا قلب ما لك من عشقتك للغواني فويترات المقل

الحسين ع القادر الكوكباني

- يا فوج الأسحار علمك من القلب أين سار

الفسيل حسن بن أحمد

- يامركب الهند يابو دقلين ياليتني كنت ربانك

يحي عمر اليافعي

- يا مكحل عيوني بالسهر أنت ألبستني ثوب الضنى

م عبد الله شرف الدين

- يامن الترياق من ريقة فمه

يحي بن موسى بهران؟

- يامن بخل عنا برد السلام رد السلام في الشرع واجب

الحسن بن إسحق

- يامن بساحات الصدود أحلني؟

- يا من باول كاس من ثناياكم

- يا من سنا حسنا...(في مدح الرسول)

جابر رزق

- يامن سلب نوم عيني طرفه النعاس وعذب القلب ما بين الرجا والياس

ع ر الآنسي

- يامن لقَى قلبيَ المضنى وردِّهْ إليَّا بشارته واسعة

احمد ع ر الانسي

- يامن سنا البارق حكى مبسمه؟

- يا من عليه التوكل والخلف يا من لك الطاف فينا سارية

محسن فايع

- يا من عطاياه جلت أن تكافا بطاعة يا مبتِلي بالمنن

محسن فايع

- يا من علي بالتجافي أطال والشوق في قلبي مناظر؟

- يانسيم السحر هل لك خبر عن عُريب بوادي المنحنى

ابن سناء الملك/ ابن هتيمل

- يا نسيم الصباح سلم على باهي الخد

- يا هلا ل الفلك يا خشف يا ساجي الاعيان يا بديع الجمالِ

الحسين موسى الغراز

- يحي عمر قال يا طرفي له تسهر إن شفت شيئ في طريقك واعجبك شله؟؟

- يحي عمر قال قف يازين

يحي عمر اليافعي

- يسر مسالك عبد أنت مولاه..يا ذا المعالي وحقق فيك رجواهُ

يحي موسى بهران

- يقول ابو حمير اسباب الهوى بلوى

علي عبد الله نمرين

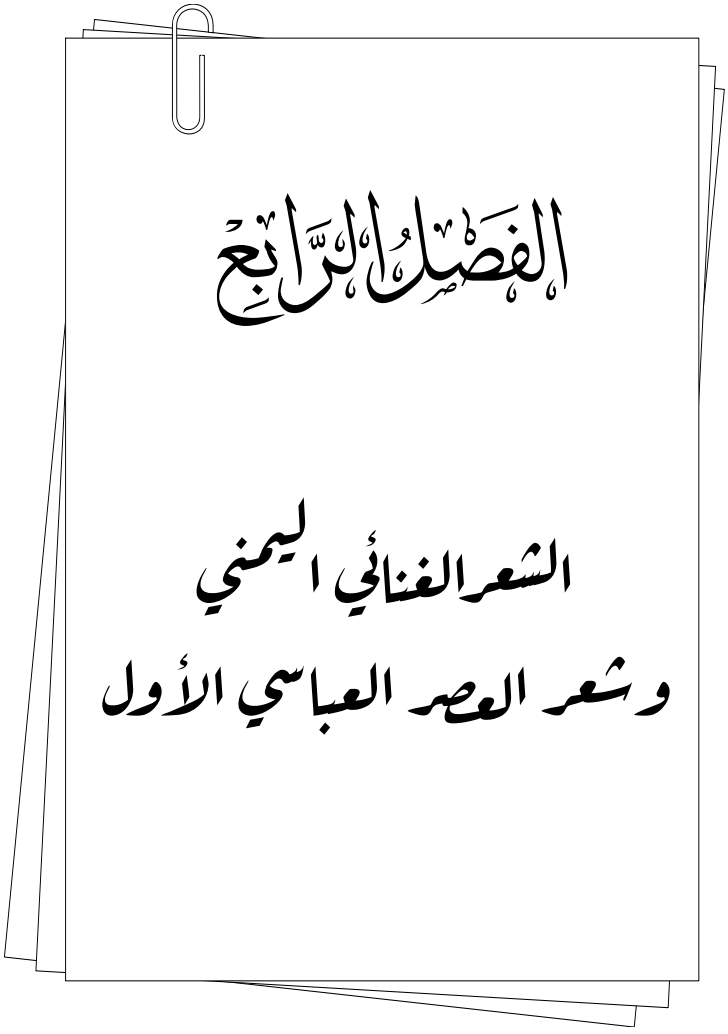

الفصل الرابع

الشعر الغنائي اليمني
وشعر العصر العباسي الأول

الشعرالغنائي في الشعر اليمني:

الغنائية والإطراب في الشعر العربي، هي القاعدة، ولـيس المقصـود هنـا الشعـرالغنائي وحده، وإنما الغنائية في حد ذاتها في الشـعر عمـومًا أو على مستوى القصيدة نفسها فالذي أظنه انها أمر لا بد منه، أو بعبارة أخرى بطاقة دخـول للشاعر إلى قلوب الناس ومشاعرهم وبغض النظرعن الأغـراض الشعرية المتنوعة أو نمط الشعر الذي يجيده هذا الشاعر أوذاك كالتفاؤل والتشاؤم والفـخر والحماسة والهجاء وغيرها، فلا بد للشاعر أن يطعِّم أبياته بشيئ مـن الغنائية حتى لا يأتي صرفا مجرد موضـوع أو فـكرة أو قضيـة والأمثلة كثيرة على القصائد الناجحة المحفظوظة بعضها في أذهـان النـاس والتي تعكس روح الشاعر وخلفيته اللغوية المضيئة، بل ولعلنا قد نجد قصيدة ما، هي فقط المشهورة لشاعر ما، ولا يعـرف النـاس ماذا قـال غيرها، ولعل ذلك يعود إلى هذه الجزئية، والتي ليس بالضرورة أن تغنّىَ ويكسوهـا لحن ما أو مقطوعة موسيقية، فالأذن العربية التي ألفت الشعـر وأحبتـه، وجعلته ديوانها، واستراحتها لابد أن يشمل في ثناياه شيئا من هذه الـروح الغنائية وإلاّ فسرعان ما يُمل ويهمل ويبحث الناس عن غيره.

أما الفن الشعري الغنائي – القصائد الغنائية– التي أبدعها كبار الفقهاء وعلماء الدين، والذين كانوا يمثلون النخبة المثقفة في العصور الوسـطى وخصوصًا في القرن الثاني عشر الهجري، و من الإطلالة السريعة علـى الشعر

اليمني، نجد أن عنصر التفوق الشعري، رغم أن معظمه كان على الطريقة الحمينية أو ما يسمى الشعر الحكمي أو ما سماه البردوني الشعر (الفصعمي)، لكن هذا الرصيد الشعري الهام والذي لم يسوّق عربيًّا، ولم يحظَ بالدراسة النقدية التي يستحقها، حتى الآن، رغم نبوغه في وقت، كان يسيطر على الساحة الثقافية العربية ما يسمى عصر الانحطاط.

تعتمد القصيدة الغنائية، أو التي تصلح أن تُلحّن على محض التوفيق الخالص في اختيار القافية وحرف الروي المناسب لها وللموضوع، وأغلب الغنائيات من البحر الخفيف والبسيط والرمل، ومنه (الموشح) وحتى الطويل أحيانًا، ومجزوءاتها، أو مخالعها أو مديدها، وهنا تبرز عبقرية الشاعر في اصطياد المجزوء المناسب للمعنى الإيقاعي الذي يتخيله الشاعر قبل أن يضع اللحن له شخص موهوبٌ آخر، أما فارس هذه المجزوءات ورائدها الأول فقد كان الحلاج بلا منازع، كما يتبين من هذه الدراسة.

جذور الأغنية التراثية اليمنية:

لمحة تأريخية عن فن الغناء اليمني:

كان الغناء العربي والموسيقى العربية في فترة ما قبل الإسلام ما زالا في مرحلة النشوء والتألّف، وفي بداياتهما إبان العصر الجاهلي وما سبقه، غير أن جنوب الجزيرة العربية – أي اليمن – كانت موغلة في الموسيقى والتطريب منذ آماد بعيدة، فقد شهدت حضاراتها المتعددة حضوراً للغناء والإنشاد واختراع آلات العزف والطرب.

تشير المصادر التاريخية إلى أن اليمن عرفت الغناء، ووُجدت بها الآلات الموسيقية المختلفة في الحضارات السبئية والمعينية والحميرية قبل الميلاد، وشوهدت نقوش كثيرة للآلات المستخدمة تعود إلى تلك الحقب، وبذلك فإن الغناء اليمني يعتبر من أقدم الفنون الغنائية منذ الأمم البائدة، يشير القلقشندي (ت ١٤١٨م) إلى أن الغناء في اليمن يرجع إلى عهد عاد، ويذهب المسعودي (ت ٩٥٦م)، في "مروج الذهب" إلى أن اليمن عرف نوعين من الغناء: الحميَري، والحنَفي، لكنهم – أي اليمنيين– كانوا يفضلون الحنفي، وكانوا يسمون الصوت الحسن بالجدن، وأخذ هذا الاسم من اليشرح بن ذي جدن، أحد ملوك حمير، وربما هو والد الملكة بلقيس، ويعود إليه غناء أهل اليمن، ولُقب بذي جدن لجمال صوته.

يكاد يجمع المؤرخون على أن الرعيل الأول من العرب المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية بدأ يتحرك نحو القرن الثاني الميلادي؛ لذا بدأت الموسيقى العربية تزدهر وتنمو في مناطق ثلاث: سوريا والعراق وغرب الجزيرة العربية.. قادمة من جنوب الجزيرة، ولا تخلو المصادر التي تؤرخ للموسيقى العربية من ذكر اليمن ودور أبنائها في صناعتها، ولعل المستشرق البريطاني هنري فارمر قد خلص إلى القول بأن العرب في ممالك جنوب الجزيرة العربية بلغوا المراتب السامية التي بلغها الساميون من قبلهم في مجال الموسيقى.

وكما تظهر النقوش الأثرية وكتابات المؤرخين، فإن اليمنيين القدماء عرفوا آلة العود منذ ما قبل الألف الأول قبل الميلاد، وساهمت الهجرات اليمنية، الحضرمية تحديداً، في انتشار "القنبوس" في دول شرق آسيا وتركيا والهند وشرق إفريقيا، والقنبوس تسمية محلية لآلة العود اليمني القديم المسمى بـ"الطربي" في صنعاء والقنبوس في حضرموت، وتظهر هذه الآلة في النقوش الأثرية اليمنية المكتشفة، ومنها نقش لامرأة تمسك بآلة العود التي ميزت الفن الغنائي في صنعاء لعهود طويلة.

وفي ذلك يحث الباحث الفرنسي جان لامبرت على أن العود "كنز وطني عريق تقع على اليمن مسؤولية الحفاظ عليه والاستفادة من مخزونها وموروثها الثقافي والغنائي الضخم".

لقد كانت اليمن المصدر الذي أشاع المغنين والقيان إلى الحجاز وأطراف

الجزيرة العربية، ومن قبلها إلى المناطق الشمالية؛ حيث لم تكن الموسيقى اليمنية قديمها وحديثها في يوم من الأيام أسيرة حدود اليمن، فانتقل جُلّها إلى الجزيرة العربية حتى صار فناً من فنونها، بما فيها الغناء المتقن الذي شاع بعد ذلك في الحجاز في العصر الإسلامي.

ولعل أول من غنّى من العرب قبل الإسلام، كانتا جرادتي بني عاد، وتسميان تعاد وتماد، قدمتا من عاد اليمنية، وكذلك قينتا الحضرمي سيرين وصاحبتها، كما أن أول من غنّى في الإسلام في المدينة كان "طُويس" وقد اشتهر بالغناء وصناعة الطرب، فذاع صيته واشتهر، وهو يمني كما أكد ذلك الباحث الكبير أحمد تيمور، وقد عُد طويس أبا الغناء في الإسلام، كما ذكر "الأصفهاني"، وطويس أول من أدخل الإيقاع إلى الغناء العربي، حتى تحول الغناء إلى فن متقن في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وكان الغناء المتقن فناً يمنياً ما زال معمولاً به ويُغنَّى في اليمن حتى اليوم، وبناؤه الموسيقي يقوم على استهلال غنائي خالٍ من الإيقاع، يُؤدى بأسلوب الموال، ثم يتحول في جزئه الثاني إلى الأداء بمرافقة الإيقاع الثقيل؛ ليصير هزجاً سريعاً بمرافقة الرقص في جزئه الثالث.

على منوال طويس أخذ أعلام الموسيقى والغناء العربي في عصر الأمويين والعباسيين مثل "إسحاق الموصلي" و"زرياب" وأشاعوه، ونقله الأخير إلى الأندلس وطوّره، وكان الأصفهاني في مؤلفه الأضخم "الأغاني" قد عدّ ثمانية

أصوات يمنية أو هي الألحان والكلمات المنسوبة إلى اليمن والقادمة من جهته، ووردت في الأشعار العربية بمنهج إيقاعي معين.

اشتهر المغنون اليمنيون في عصور مختلفة، ففي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي اشتهر منهم "ابن طنبور" الذي عُرف بالغناء الخفيف المسمى الهزج، ووصفه المؤرخون أنه كان أهزج الناس وأخفهم غناء، كما ورد في "المستطرف".

على أن فن الموشحات التي اشتهرت بالأندلس، هو بالأصل من اليمن، إذ إن جذور كلمات الموشح وتراكيبه ومذاهبه تشبه الأصل اليمني، وقد رأى ذلك الكثير من الباحثين مثل الرفاعي في كتابه "الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي"، ومن قبله المؤرخ محمد عبده غانم، كما أكد ذلك الباحث والفنان اليمني محمد مرشد ناجي بقوله إن أول من قال الموشح الشعري هو مقدم بن معافر المقبري وهو أيضاً من اليمن من معافر.

و"الحُمَيني" شعر غنائي يمني يتوسط الفصحى والعامية، وقيل نسبة إلى منطقة "حُمن" في اليمن، والحميني هو الجذر الأول للموشح الأندلسي والمهد الأصيل له، إذ لا يلتزم بالفصحى وقواعدها؛ لذلك اقترح الأديب مصطفى الرافعي تسميته بالموشح الملحون لمزجه بين الشعر والموشح.

فالموشحات الأندلسية ابتدعها شعراء يمنيون تأثروا بأشعارهم وأوزانهم الحميرية، التي لا تزال تُنشد حتى الآن في اليمن في مناطق مختلفة بذات النسق والإيقاع، وقد ذُكر في "نفح الطيب" للمقري التلمساني، وهو أقدم وأهم موسوعة أندلسية، أن النسبة الغالبة لشعراء الأندلس هم في الأصل يمنيون، حين انتقل اليمنيون بأعداد كبيرة ضمن جيش طارق بن زياد إلى الأندلس وفي زمن الفتح، زد على ذلك الألفاظ والمفردات الواردة في الموشحات تشكل معجماً واسعاً من الألفاظ والكلمات المحلية اليمنية المتداولة حتى الآن.

على أنه لم يكن تأثير اليمن وروادها مقتصراً على الغناء والموسيقى العربية والشعر فحسب، لكننا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا التأثير امتد إلى أوروبا، فبحسب كثير من المستشرقين أمثال: Ribera وValencia وProvnal وآخرين، قاموا بأبحاث معمقة، أوردوا فيها أمثلة تؤكد أن ما استجد في أوروبا من أوزان الشعر إنما كان انعكاساً لما احتوته الأندلس من هذه الألوان المبتكرة، وقد أثبت هؤلاء المستشرقون أن بعض قوالب القصائد المسماة (بالاد) والأغاني العاطفية، وغيرها من قصائد شعر (التروبادور) تتألف من أسماط وأجزاء تشبه إلى حد ما في ترتيبها أسماط الموشحات وأجزاءها، وتتعدد فيها الأوزان والقوافي، وأن نظم شعراء التروبادور كان يعتمد في الأهم على الموسيقى والغناء، كما هو الشأن في الموشحات.

ولئن كان التراث اليمني غنياً وغزيراً، وأصلاً تفرعت منه فنون ومذاهب

كثيرة، فإنه شهد خفوتاً في العصور اللاحقة تبعاً لعوامل دينية وسياسية واجتماعية كثيرة، لكنه ما زال زاخراً ومكتنزاً بكل مُدهش ومُعجِب.

ولقد ذاع الفن اليمني على ألسنة اليهود اليمنيين أيضاً، حتى رحيلهم الشهير في أواخر الأربعينات إلى إسرائيل، ونقلوه كما هو ولا يزالون يؤدونه بألفاظه وألحانه رغم مضي ستة عقود، محتفظين بتراثه وطقوسه وإيقاعه، ولاقى ذلك رواجاً كبيراً وانتشاراً في العالم.

إن الغناء اليمني بتنوعه وبيئاته المختلفة وأشكاله المتعددة لا يزال مزهراً، ومدارسه المختلفة رحبة بمذاهبها، ولا يزال ملهماً لكثير من المدارس الفنية الأخرى، وللمناطق والدول، كما هو بحاجة ملحة للبحث والتدوين، لكشف كل آثاره وإظهار تاريخه العريق الذي لا نجد منه سوى لُمحٍ بسيطة، وتوثيق أصوله التي تفرق دمها وضاعت، فالفن اليمني ظُلم كثيراً من أهله والآخذين منه، فكان كلأً مباحاً غير أنه لا يُوسم.

وقد إقتصرت دراستنا في هذا الكتاب على الأغنيه اليمنية التراثية المعاصرة، ولو أعملنا النظر وبحثنا بعمق عن جذور الأغنية اليمنية، والتي تتميز بطابعها الخاص والنقي، والتي سلمت ولحسن الحظ من التداخل مع فنون أخرى، اللهم إلا فيما ندر، لوجدنا أن جذورها تمتد إلى الأدب والفن الصوفى الذي تبلور في العصر العباسي الأول بشقيه الشعري، والطربي الإيقاعي المنغم.

من حيث القالب الشعري:

فمن حيث القالب الشعري فهو كما أوردنا قد انتهج أسلوب المجزوءات المتنوعة، وأحيانًا التمديدات الإيقاعية التى من السهل تلحينها وتنغيمها وإنشادها في الحلقات والحوزات الدينية والإنشاد الجماعي، أما مواضيعها وأغراضها الشعرية فقد تركزت على السمو بالعبارة والتغني بالفضيلة وابتكار وتوليد المعاني التي تعبر عن الوجدان وتثير النشوة والشجن.

وتجعل من مادة الحب والحبيب وما يصاحب ذلك من لوعة وهيام وما يثيره الشوق وألم الفراق والهجر والخصام، مدخلا للتعبير عما يجيش في النفس من رغبات، حتى ليظن السامع أو القارئ أن هؤلاء الشعراء المجيدين، لم يحضوا يومًا بالشريك المناسب، أو فتاة الأحلام التي يطمح لها كل إنسان.

لكنه وبقليل من التمعن نستطيع الخلوص إلى ما وراء هذه المعاني، والتي كان الغالبية لا يجرؤن على التصريح بها خشية من الصدام مع العرف والنظام السياسى الذي يتخذ من الدين وما صاحبه من روايات وأحاديث، لا نستطيع الجزم بصحتها كلها، والتي كرست القمع السلطوي واتخذت من الفنون والآداب موقفا يجرِّم كل من يتعرض للتقاليد والأعراف السائدة أو يتنافى مع رغبات الحاكم، اتخذت منه موقفًا عدائيًا وكالت له من التأويلات والتهم ما قد يصل به إلى النفي أو التنكيل.

من هنا كان اللجوء إلى التلميح والرمزية التي تتطرق إلى كل ما ينشده المرء

من حب وتطلع، وهو أكبر من رغبته في الحصول على الشريك الآخر وتلبية رغبته الغريزية الآنية، مثل التوق إلى الحرية والعدل والمساواة التي لا تزال هاجس الجميع حتى اليوم.

من الناحية الطربية:

أما فيما يتعلق بالناحية الطربية، فقد وجدت تلك المعاني بغيتها في التفعيلة الشعرية المتنوعة ومجزوءاتها الخفيفة المتنوعة من بحور الخليل التي تناسب كل نفَسٍ ينشده الشاعر، كما أن تصويت وإعراب ونسق وتجويد الحرف العربي الفصيح، والشعبي، الذي يشكل تنغيم الحرف وتنوينه وإخراجه بصيغة مرهفة تطرق السمع بطريقة ناعمة تثير النشوة وتطلق العنان للخيال، قد ساهم في ذلك، فكأن الحرف قد رُكّب له جناحان يطير بهما في سماء الأبدية.

ما تلاءم مع ذلك، وخدمه خدمة جليلة، هو اكتشاف ربع النغمة التي من ناحية انسجمت مع تفعيلات البحور الشعرية العربية، ومن ناحية ميزت النغم الشرقي الأصيل عن غيره، وإن كانت هذه النغمة قد وجدت في الفن الهندي القديم وموسيقاه المتنوعة.

لقد وجد الشعراء الغنائيون ما يخدم نصوصهم الغنائية لحنيًّا، في تهاويم وتواشيح وسجوع المتصوفة التي تفيض بالمواجيد والمقطوعات التي تبرؤهم من عالم المادة وتجعلهم يتطلعون إلى عالم الصفاء الذهني وتحلق بهم في سماوات الحب الإلهي الذي يتجاور الآمهم وشقاءهم المرضي، كما تجنبهم وعورة التفكير والتكالب على رغبات الحياة الزائلة، وتجعلهم يتحاشون الصدامات

التي تعرقل أداءهم، وتبعدهم عن مختلف الشبهات، ولهذا كوّنوا فلسفتهم الخاصة، وأقنعوا أنفسم بأن الخلود هو المبتغى، وأن السرور والحزن شيئ واحد، وكذاك القرب والبعد وجهان لعملة واحدة، كما جعلوا من المجاز والتلميح مدخلا للتعبير عما في نفوسهم من رغبات يقرأها القارئ، أو يسمعها السامع بطرق مختلفة، فتكوّن من هذا فن وادب جميل وخلاب، له مسحة تتماشى مع كل ذوق، وتنسجم مع كل عصر وحين.

ولأن اليمن قد مرَّ بعصور عزلة كاملة، وانقطاع كامل عن المحيط الخارجي، كما أنه يكاد يخلو من الجيران، فقد توارث هذه الفنون وحافظ عليها ومزجها بطابعه الخاص وهويته اليمنية، وحتى عصرنا الحاضر.

اللحن أولاً..أم القصيدة:

القصيدة التراثية لم تنشأ بين يوم وليلة، كما هي حال الأغنية اليوم، وإن سماعها لمرات عديدة، لا يشعرنا بالملل، أي وكأنها وصلت إلى حالة الكمال أو قريبة منه، يعني لنا هذا أنها خضعت لسنوات وعقود، إن لم نقل قرون، لمزيد من التجويد والتحسين، شعرًا وتلحينًا، أي أنها خضعت لعدة أذواق متتالية حتى وصلت إلى ماهي عليه، ولا نهضم هنا حق الشعراء المنسوبة إليهم، بل نقول أنه ربما مورس عليهم بعض النقد الذوقي، وأضيف إلى قصائدهم مثلا مقطع أوحذف آخر بما لا يؤثر على جوهر النص، أما على مستوى اللحن، فالذي يبدو لنا أنه ربما قد وضع تركيبًا على لحن معروف سلفًا وتمتد جذوره إلى ما نريد إثباته وهو اتصاله بالعصور العباسية، وكنموذج على ذلك، لو أخذنا أغنية مثل (أراك عصي الدمع) بألحانها المتعددة، قد نجد أن هذه الألحان قد صيغت على وزنها عدة أغاني لاحقة، لأن الألحان اليمنية إنما اهتمت بتلحين التفعيلة أو البحر الشعري كما أوردنا، وبذلك فهذه الأغنية قد تمثل حلقة الوصل بين الفن اليمني والتراث العربي القديم، فلو جزأنا المقاطع اللحنية المسموعة، لوجدنا الأول يتماشى مع أداء المداحين المتجولين مثلا، وهم إحدى وسائل التوصيل والتواصل، أما المقطعين الثاني والثالث فقد اشتهرت بهما (أغنية شقيق القمر)، (ألا يابارق الجرعاء)، وهما متأخرتين عليها.

مثالٌ آخر: اللحن المسموع من الشيخ علي أبوبكر با شراحيل لأغنية (مرضي

من مريضة الأجفان)، المنسوبة لمحي الدين بن عربي، والذي يقترب كثيرًا من نَفَس الحلاج، (ليس من شادنٍ تحرك إلا أنت حرَّكتهُ خفيَّ المكانِ)، كماهو نفس اللحن الذي عُرفت به أغنية (مرحبا بالربيع في آذارِ)، والتي نسبت في بعض المصادر لأبي نواس، وهو نفس اللحن الذي اشتهرت به الأغنية الرائعة لابن هتيمل (أنا من ناظري عليك أغارُ)، كذلك قصيدة السمرجي (قال المعنى علينا للهوى ألف طاعة، وأغنية (يامن لقى قلبي المضنى)، واللتان تقاسمتا الشهرة بلحن واحد، رغم الفارق الزمني.

من المعروف أيضًا أنّ بعض المارشات التركية، كالمارش الحميدي، قد رُكبت لها كلمات أغاني، وصارت تُغنَّى إلى اليوم، مما يدل على أن ذلك كان متعارف عليه، وعليه، فبقدر التوفيق والإبداع في تأليف واختيار النص الشعري الأجمل تكون الأغنية قد وُسِمَتْ بذلك اللحن، وفازت به، خصوصًا وأن أروع الألحان الذي حفظها لنا التراث قدعُرف قائلها ولكن لم يُعرف مُلحِّنها بل لا نعرف لها ملحنًا البتَّة، مما يشير إلى قدم الألحان من ناحية، وإلى خضوعها للتحسين مرات عدة وعبر أجيال متلاحقة بآلة (الطُّربي) التي عُرفت قبل دخول الكمنجة على يد الأتراك، كما أشارالأستاذ محمد عبده غانم، الذي يُرْجِع تأريخ الأغنية اليمنية إلى نحو ٣٠٠ سنة فقط.

دليل آخر، أكثر وضوحًا للدلالة على قدم الألحان، قبل النصوص، هو فن الإنشاد اليمني، وهو عريق، ويؤدى تقريبًا في جميع المناسبات، سواءً، أعراس أو عزاء والذي يؤدي غالبية هذه الألحان التي نسمعها مُغناة بنفس الجُمل

الموسيقية، وإن من دون آلات موسيقية، أو إيقاع، وبشكل ممدود، ولكنها نفس الألحان، الذي يتشاركها النشّاد مع جمهور الحضور، الذي يمثل هنا الذاكرة الجماعية، وعليه يعود إليه تقييم الأداء وتفضيل بعض المؤدين بعضهم على بعض بموجب ذاكرة طربية محفوظة بقالبه الفني المثالي.

وإذا كان هناك من تأثير أو تأثر للفن التركي في الغناء اليمني، نستطيع القول أن النتيجة قد حُسمت لصالح الفن اليمني، فهذا (حيدر آغا) يطربنا بأغانٍ يمنية صرفة، مثل (حوى الغنج والتفتير والسحر أحومه)، (وعليك يا ناقض لتلك العهود) سواءً كان ذلك شعرًا، أو غناءً وعزفًا، كغيره من الأتراك الذين أحبوا اليمن، واستوطنوها، وذابوا في ثقافتها.

ولا بد هنا من التنويه إلى تأثير الثقافة الزيدية على التنغيم والتصويت والطربية، من حيث أنه لا يفضل التجويد وتحسين الصوت أثناء قراءة القرآن، وأداء الأذان وبقية الشعائر الطقوسية الذي قد يعتبره فتنة تشغل السامع عن استيعاب النص الديني ويلهيه عن فهم المعاني خصوصًا في عواصم الزيدية مثل صنعاء وذمار، ما دفع الهواة إلى كوكبان ولحج وغيرها لممارسة العزف وتطويره، وهجرة بعض المبدعين مثل جابر رزق إلى الحديدة مثلًا، ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ما عرف بالغناء الصنعاني إنما أتى من خارج صنعاء، على وجه العموم، وهذا على الأقل بالنسبة للتلاحين وابتكارالنغمات التراثية الخالدة.

تلحين التفعيلة، وبحور الشعر:

ولأخذ فكرة أشمل عن تنوع الشعر الغنائي اليمني بتشطيراته الواسعة وانتقائيته الإبداعية للبحور الشعرية ومزجها في قالب قصائدي بديع ومبتكر، يعتمد على التفعيلة ومجزوئها كأساس، لا يُخفي التأثر الواضح بالشعر الغنائي العربي للعصر العباسي الأول واعتباره امتدادًا له.

تحتفظ لنا المكتبة الغنائية اليمنية بعدد من الألحان، التي تعتمد كما ذكرنا على إيقاع التفعيلة التي اكتشفها الخليل بن أحمد الفراهيدي-١٧٥هـ، والتي بناءً على ذائقته الشعرية العالية، وعلى طرقات النحاس التي كان يمارسها أثناء عمله، وكل ما في الأمر أن تلك الطرقات أبدلت بالإيقاع الوتري الذي أضاف لها أبعادًا طربية شجية متنوعة، والتي يمكن للأذن الموسيقية الحساسة أن توقعها أو تستعيض عنها بالتصفيق باليد، الذي يعود بها إلى تلك الطرقات الخليلية.

وعليه فالفضل الكبير يعود للتراث اليمني الذي لازال يحتفظ بتلك الموسوعة اللحنية المتنوعة لجميع البحور ومجزوءاتها ومخالعها ومديدها، ولا تزال تمثل في اليمن القاعدة والمرتكز للإيقاع اللحني الذي يمارس حتى اليوم، وإذا كان هناك من حسنة للعزلة الجغرافية والثقافية التي كانت من حظ هذه البلاد لعدة قرون، فهي حفظ التراث الغنائي منذ عصوره الأولى.

وكمدخل لفهم ذلك وإقراره دعونا نتأمل في بعض نصوص الغناء التراثي اليمني، شعرًا وعزفًا وغناءً. ولا ينقصنا هنا إلا توثيق تلك الألحان بالنوتة

الموسيقية.

ولعلنا سنركز هنا على عصر الحلاج ومعاصريه، وكوكبة الشعراء الغنائين، الكبار، ابتداءً من ابن سناء الملك، والوأواء الدمشقي مرورًا بمحمدعبد الله شرف الدين، وابن هتيمل، والقارة، والخفنجي، وحتى المدرسة الآنسية، (محمد عبد الرحمن)، وابنه (أحمد عبد الرحمن)، إضافة إلى المدرسة اللحجية (القومندان واليافعي)، وانتهاءً بالمدرسة الحضرمية الواسعة، وآخرها المحضاريات، كما أن هناك قصائد للعباس بن الأحنف، وابن الفارض، وإيليا أبو ماضي وغيرهم لا تزال تُغنَّى إلى اليوم.

كما في النصوص التالية، والنصوص اللاحقة.

أولًا: البسيط:

رباعي التفعيلة، رباعي-ثنائي، ثلاثي(مجزوء)، ثلاثي(مخلع)، ثلاثي-ثنائي، ثنائي فقط، بحسب الترتيب:

يا من سلب نوم عيني طرفه النعاس

وعذب القلب ما بين الرجا واليأس

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلان مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلان

يقرب الله لي بالعافية والسلامة وصل الحبيب الأغن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلن

يامن عليه التوكل والخلف يامن له الطاف فينا سارية

مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن

يا شاري البرق من تهامة رويدك اللمع والخفوق

مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول

ذاك العذول مستريح عما أعاني لو كان يدري عذر

مستفعلن فاعلن مستفعلاتنمستفعلن فاعلن

الشوق أعياني يا قرة الأعيان

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلان

ثانيًا: السريع أو الرجز:

ثلاثي التفعيلة، ثلاثي- ثنائي، ثلاثي-أحادي، وعلى النحو الآتي:

عليك سموني وسمسموني وبالملامة فيك عذبوني

مستفعلن مستفعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعولن

يا غصن مايس يا قمر مصور في حندس الفينان

مستفعلن مستفعلن فعولن مستفعلن فعْلان

لي في ربى حاجر غزيل أتلع يسبي القلوب

مستفعلن مستفعلن فعولن مستفعلان

ثالثًا السريع:

وهو ثلاثي التفعيلة، ثلاثي ثنائي، ثلاثي أحاديكما يلي:

صادت فؤادي بالعيون الملاحْ وبالخدود الزاهرات الصِّباحْ

مستفعلن مستفعلن فاعلان مستفعلن مستفعلن فاعلان

وكذلك:

نعم نعم شكري لمولى النعم في كل ساعة فرض لازم

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعل مستفعلاتن

وكذلك:

لله مـــا يحويـــه هـــذا المقـــام تجمعـــت فيـــه النفـــايسْ

مستفعلن مستفعلن فاعلان متْفعلن مستفعلاتن

مـن حـلّ لـك يـاذا الرشـا قـتلي روح أنـــت في حِـــلْ

مستفعلن مستفعلن فعْلُنْ مستفعلاتن

رابعًا: الرمَل:

رباعي – ثنائي، ثلاثي- ثنائي، ثنائي:

غصـــن مـــن عقيـــان أثمـــر بالقنـــا

قـــد الحبيـــب فـــايق الغـــزلان والغيـــد

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلان فاعلاتن فاعلاتان

لســـت تعلـــم مـــا بقلبـــي ياحبيـــب

إن قلبـــــــي فيـــــــه مـــــــا فيـــــــه

فاعلاتن فاعلاتن فاعلان فاعلاتن فاعلاتان

ذا نســـيم القـــرب نســـنس وشـــفى ســـقم المحبـــين

فاعلاتن فاعلاتن فعِلاتُن فاعلاتان

خامسًا: الطويل:

وهو، رباعي، غالبا على النحو الآتي:

حـوى الغـنج والتفتـير والسـحر أحومـه

وحـاز الهـوى والعشـق والشـوق مُغرمـه

أحبـة ربـى صـنعا عجـب كيـف حـالكم

وهـل عنـدكم مـا حـل بالعاشـق المضـنى

عـذيب اللمـى عـذب فـؤادي وسمسـمه

وأنحـل بطـول الهجـر جسـمي وأسـقمه

وكلها على وزن:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن(مفاعيلن)

سادسًا: الرجز:

ثنائي غالبًا وبالصور الآتية:

أشرف عليـــــا كـــــالقمر مـن طاقـة القـصر المشـيد

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلان

يـــا طـــير يـــا حـــالي الفنـــون ما اشجى هديرك في الفروع

مستفعلن مستفعلان مستفعلن مستفعلان

يـــا حـــي يـــاقيوم يـــا عـــالم بـــما تحـــوي الصـــدور

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلان

سابعًا: المتقارب:

رباعي –ثنائي عادةً:

جـرت سـنة الحـب أن المقـيم يهـيم بعـد مـن قـد سـار

فعولن فعولن فعولن فعول فعولن فعولاتان

زمان الصبا يازمان الصبا عهودك رعاها الله

فعولن فعولن فعولن فعو فعولن فعولاتان

سلو عن فؤادي فقد كان معي مقبم قبل أن أعشق

فعولن فعولم فعولن فعو فعولن فعولاتن

ثامنًا: الوافر:

ثلاثي عادة على النمط الآتي:

رسولي قوم بلغني إشارة إلى عند المليح الحالي الزين

مفاعيلن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن فعولان

صدق من قال أن الشوق غالب وأن البعد نار والقرب جنة

مفاعيلن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن فعولن

تاسعًا: الخفيف:

ثنائي التفعيلة

من يبلغ غزال رامة مُذهب الخد ساجي العين

فاعلاتن متفعْ لاتن فاعلا تن متفعْ لاتان

جل من نفَّس الصباح وبسط ظله المديد

فاعلا تن متفعْ لان فاعلا تن متفعْ لان

عاشرًا: المجتث:

ثنائي، أو ثنائي –أحادي

طرب في سجوعه وكرر طير الغصون الرطيبة

مستفعِ لُن فاعلاتن مستفعِ لن فاعلاتن

يا فوج الاسحار علمك من القلب أين سار

مستفع لاتان مستفعِ لُن فاعلاتان

أحدى عشر: الممتد:

ثلاثي، رباعي، ثلاثي- ثنائي بحسب الترتيب:

يا حمامي أمانه ما دهاك طرت من بُقعتك حيث الأمان

فاعلن فاعلاتن فاعلان فاعلن فاعلا تن فاعلان

يا مغرد بوادي الدور من فوق الأغصان

يا مهيج صباباتي بترجيع الألحان

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتان فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتان

يا معلق بحبل الحب إن كنت ترتاح للغواني مثالي

فاعلن فاعلا تن فاعلن فاعلاتان فاعلن فاعلا تان

إثنى عشر: المتدارك:

ثلاثي التفعيلة، رباعي – ثلاثي:

فرج الهم يا كاشف الغم منك فضلا بفضل المثاني

فاعلن فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلن فاعلاتن

يا بروحي من الغيد هيفا كالهلال

حسنها شل روحي وعقلي

فاعلن فاعلن فاعلاتن فاعلان فاعلن فاعلن فاعلاتن

ثالث عشر: المستطيل:

ثنائي-ثلاثي:

حاوي خير اليكم صادر من أسير الهوى

مفعولن فعولــن مفعولن فعولن فعو

رابع عشر: المطَّـرد:

ثنائي،

آه من فرقة الأحباب لا بلى الله بها مسلم

فاعلاتن مفاعيلن فاعلا تن مفاعيلن

خامس عشر: المقتضب:

أحادي – ثنائي،

شفت الآن غاني شبيه القمر قده لان وحسن خده ظهر

مفعولات مستفعلن فاعلن مفعولات مستفعلن فاعلن

وهناك تداخلات لأكثر من بحر واحد في البيت، على سبيل المثال:

الرمل- السريع:

السنا لاح حرم على اجفاني لذيذ الهجوع

المتدارك- الرمل:

حي روضة بها سؤل قلبي سكان

الرمل- الرجز:

ما لقلبي لم يزل عشقه فنون

في هوى حالي التثني والمجون

المستطيل- المجتث:

معشوق الجمال نهب فؤادي جماله

البسيط- السريع، أو المجتث- البسيط- السريع

دع ما سوى الله واسأل

مولاك إن الذي أعطاك ما رد سائل

أما له التدبير ما شاء يفعل

بلى قدير على ما شاءه ذو الجلال

المتدارك-الرمل- المتقارب

يا أهيل الغرام هل على المستهام

حق لأهل الملام في شروط العشق..وغيرها

للمزيد يمكن الرجوع لكتاب شعر الغناء الصنعاني للدكتور محمد عبده غانم.

وجهة نظر في بحور الشعر

مساهمة متواضعة لترسيخ أسماء بحور الشعر العربية

نظرًا لأنّ العديد من الشباب الشعراء الموهوبين والمبدعين المشاركين، والذين قد يصعب على بعضهم تصنيف بحور الشعر، رغم أنهم يكتبون بالسليقة، كما فعل المتنبي، وغيره شعرًا صحيحًا من ناحية الوزن والعروض إلا أنه قد يصعب على الكثير، وأنا منهم، ذكر التفعيلات التي جاء منها هذا البيت، أو ذاك، وهي القاعدة القديمة، المشتقة من الفعل (فعلَ): فاعلن، مستفعلن فعولن...إلخ، التي يصعب استذكارها، فإليكم هذا الأنموذج المقترح ولكم أن تنقدوه أو تعدِّلوه كما تريدون.

الأنموذج المقترح لتسهيل التذكر، تجدون اسم البحر في البيت المقترح بين قوسين، مع مثال يأتي بعدهُ للبحور المشهورة والتي لكل واحد منها مجزوءات ومخالع، وتمديدات، واختصار حرف أو اكثر من الصدر أو العجز، وخلافه.

بحرالطويل: على وزن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

(طويلٌ له بين البحور فضائلُ)

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ

الكامل: متفاعلن متفاعلن متفاعلن

(يا كاملًا يا كاملًا ياكاملاَ)

(بالكامل الكامل نفسي تطربُ)

وألذ شيئ في الهوى ما يوهبُ

يامن هواه أعزه وأذلني

الوافر: مفاعيلن مفاعيلن فعولن

(ببحر الوافر الموفور أمضي)

على قدرالهوى ياتي العتابُ

الخفيف: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

(الخفيفُ الخفيفُ غيرُ خفيفَ)

كلنا في الهوى جوٍ يارسولُ

البسيط: مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن- فاعلن

(إنّ البسيط بسيط اللحن والطربِ)

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

البسيط: مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن- فاعلن

(إنّ البسيط بسيط اللحن والطربِ)

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

الرمل: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

شطره - فاعلن

الموشح - فاعلات

(رملهُ رملي ورملي رملهُ)

لاتعذبني بأشواقي إليك

المتقارب: فعول فعول فعول فعول

(تقاربْ تقاربْ تقاربْ قَرَبْ)

بلادي بلادي بلاد اليمن

المتدارك: فاعلن مستفعلن(تدوير)

(لو تداركتَ مُحبًّا بوصالِ وعناقِ)

قد تصبرت وهل يصبر قلبي عن فؤادي

المتواتر: فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن(تدوير)

ومعظم أشعار الحداثة يكتبون بهذا

السريع: مستفعلن مستفعلن مستفعلن، فعلن -مفعولات-

(ومضى سريعًا مسرعًا متسارعا)

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ

المديد: مستفعلن مستفعلن متسفعلن مستفعلن ٤ مرات

(ياذا الذي ترك المديد تجنبا ليس المديد بضائر من نظَّما)

يادار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

الصحيح: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

(كلما قلت صحيحُ حسنٌ ذا أم قبيحُ)

ما على ظنيَ بأسُ يجرح الدهر ويأسو

الهزج: مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلا مفاعيلا

(هزيجٌ غير منسوبٍ إلى فوضى وتخريبِ)

ربابٌ ربّة البيتِ تصبُّ الخل في الزيتِ

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

الرَّجَز: مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(الرجْز يبقى قالب جميلُ)

أهلا بمن داس العذول واقبل

عليك سموني وسمسموني

مقارنة بين شعرالحلاج والغناء اليمني:

١) من حيث القالب الشعري: (ح) إشارة إلى الحلاج

أمثـلة:

مثالك في عيني وذكرك في فمي

بحر الطويل

على شاطئ الوادي نظرت حمامة

فزادت علي حسرتي وتندمي تنسب ليزيد

لي حبيبٌ أزور في الخلواتِ (ح) ..... بحر الخفيف

أنا من ناظري عليك أغارُ وار عني مازال عنه الخمارُ

إبن هتيمل

أشرقت بهجة وعزت منالا أشهدتنا جمالها والجلالا

عبد الرحمن عيدروس

مرحبا بالربيع في اذار وبإشراق بهجة الأنوارِ

تنسب لأبي نواس

نسمة من جنابهِ أوقفتني ببابه(ح)

مجزوء الخفيف

نظري بدء علتي ويح قلبي وما جنا(ح)

مجزوء الخفيف

جل من نفس الصباح وبسط ظله المديد

أحمد الآنسي

ألقاهُ في البحر مشدودًا وقال لهُ إياك إياك أن تبتّل بالماء(ح)

بحر البسيط

الله يعلم ما في النفس جارحةٌ إلا وذكرك فيها نيل ما فيها

رضاك خير من الدنيا وما فيها

وأنت للنفس أشهى من تمنيها

اقبس متى شئت نار الشوق من كبدي

الؤواء الدمشقي

أشار لحظي بعين علمِ لخاطر من خفي وهمِ(ح)

مخلع البسيط

غنى على نايف البواسق

أحمد عبد الرحمن الآنسي

يارب إني اليك ممّا جنيته تائبٌ منيبُ

مخلع البسيط

ياشمس يا بدر يا نهارُ أنت لنا جنة ونار(ح)

مخلع السيط

غبت وما غبتَ عن ضميري(ح) مخلع البسيط

واشاري البرق من تهامة رويدك اللمع والخفوق

عبد الرحمن الآنسي

أما والذي لدمي حللا (ح) بحر المتقارب

زمان الصبا يا زمان الصبا أحمد عبد الرحمن الآنسي

لقدأعجبني الوجد بمن أهواه والفقدُ (ح) بحر الهزج

رعى الله يوم ما كنا بسفح المنحنى جيران

بالسرِّ إنْ باحوا تباح دماؤهم(ح) بحر الكامل

يامن عليك التوكل والخلف محسن فايع

يا عوضي من عوضي(ح) مجزوء الكامل

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها(ح) مجزوء الكامل

رحمن يارحمن يامن فوق عرشك مرتفع

جُبلت روحك في روحي كما(ح) بحر الرمل

لاتعذبني بأشواقي إليكْ حسبي النار التي في وجنتيك

شرح الدمع على متن الخدود ما أعانيه من الظبي الشرود

عبد الرحمن عيدروس

اقتلوني يا ثقاتي إنَّ في قتلي حياتي(ح) مجزوء الرمل

حيِّ روضه بها سؤل قلبي سكان

أبو بكر العيدروس

ومنها:

وظلمني من أحبّه في الهوى ظلم الحسينِ

ونهب عقلي وروحي باحمرار الوجنتينِ

رب بالسبع المثاني وبقرءان معظّمْ

محمد عبد الرحمن كوكبان

لم تغيره رسومُ لا ولا عهدٌ قديمُ (ح) مجزوء الرمل

لستُ بالتوحيد أهُوُ(ح) مجزوء الرمل

كلما دق الهوى الباب قلت أنا المحبوب جاني

طوبى لطرفٍ فاز منك بنظرةٍ أو نظرتين(ح)

مجزوء الرمل

إحنا على عهد الهوى شبابنا لما نشيب

ما لي سوى الروح خذها والروح جهد المقلِّ(ح)

بحر المجتث

يقرب الله لي بالعافية والسلامة

أحمد حسين المفتي

قال المعنى علينا للهوى الف طاعة وللحبيب الاغن السمرجي

ســـــــــقاك ياكوكبـــــــــان كــم فيــك كــم مــن جــوادِ

أنـا الـذي فـي الهمـوم مهجتهُ (ح) بحر المنسرح

أنا الذي قد خضت بحر الهوى

ثـلاثة احـرف لآ عُجـم فيهـا (ح) بحر الوافر

بدت فظننتها بدر التمام ولكنْها رمتني بالسهام

عظيم الشان يسر لي مرادي

رسـولي قـوم بلغني اشـارة

بدا كالبدر توج بالثريا غزالا في الحمى باهي المحيا بهران

إلى حتفي سعت قدمي (ح) مجزوء الوافر

يعين الله على حبكْ قليبي اللِّي تولّع بك وحَنْ المحضار

كن لي كما كنت لي في حين لم أكُنِ(ح)

بحر البسيط (مجزوء المتدارك)؟

قال المعنى سمعت الطير يترنـم

وهيج اشجان كان القلب يخفيها

إقبس متى شئت نار الشوق من كبدي

وإن ترد موردا من أدمعي فرد

الؤواء

يا طالما غبنا عن اشباح النظر (ح) بحر الرجز

أهلا بمن داس العذول واقبل وطلعته مثل الهلال واجمل

علي علي صبرة

عليك سموني وسمسموني وعرضوا باسمك وسآءلوني

محمد شرف الدين

إنّ كتابي يا أنا(ح) مجزوء الرجز

أشرف عليا كا لقمر من طاقة القصر المشيد

أحمد حسين المفتي

يا موضع الناظر من ناظري (ح) مجزوء السريع

من سحر عينيك الأمان الأمان قتلت رب السيف والطيلسان

بات سميري والبرايا هجود بدرٌ تجلى في ليالي السعود

بهران

٢) من حيث المضمون:

سبقت الإشارة إلى هذا في الحديث عن الغنائية في الشعر اليمني، الذي يمثل في نظري مركز الإبداع للنص الأدبي، بما فتحه من آفاق واسعة ونظرة رومانسية خاصة تنطلق من واقع البيئة والتجربة التي تفننت في إثراء المكتبة اليمنية الموسيقية، وتعدد أنماط التعبير عن الوجدان واختراع تللك الأنماط الفريدة في توليد المعنى وجعله ينبض

باللحن من داخله ويرفع الذوق الشعبي ويسمو به إلى ألعلى، ليتحد مع ذوق النخبة بما أبدعه من سلاسة في العبارة وطلاوة ورقة في المعنى، والتجديد والتبسيط للفصحى وتأكيد حركية اللغة وتجددها الدائم دون أن ينتقص من قدر الفصحى، أو يندلق إلى لغات أجنبية أو ثقافات مستوردة كما هوالحال في الأغنية المحدثة في أيامنا هذه.

لم ينصرف شعرالغناء الصنعاني- وهذه التسمية لا تخص العاصمة التاريخية وحدها- لم ينصرف إلى العمق الفلسفي والرؤية الصوفية البحته كما في شعر الحلاج إلاَّ ربما في بعض الحلقات والحوزات الصوفية والطقوس الدينية المعروفة، بقدر ما انصرف إلى الحديث عن الشجن والولوع بالحبيب، ووصف مفاتنه، والأسى والحزن لفراقه، والإسهاب في وصف آلام الهجر والجفاء وفرحة الوصال وقرب اللقاء بالحبيب، مع ما يتضمنه ذلك من حرمان واكتئاب جنسي وصعوبة الالتقاء بالجنس الآخر، كما تدل على ذلك النصوص، التي لم يتسع المقام إلا لذكر القليل من مطالعها، وأمثلة على مجزوآتها وتشطيراتها وعروضها، ويمكن الرجوع لذلك إلى الدواوين والعديد والدراسات، والموسوعات التي أنجزت، ويجري إنجاز المزيد منها.

وهذه تعتبر دعوة مفتوحة للقارئ العربي للاطلاع على هذه الكنوز الأدبية الرائعة، والتي ازدهرت على وجه الخصوص في الوقت الذي كان يسود الأدب العربي فترة ما يسمى عصرالانحطاط، مما يفتح المجال واسعًا أمام العديد من الدراسات عن هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في اليمن، التي تطلعنا على نمط الحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية التي سادت هذا الوطن الذي احتفظ بعزلته قرونًا عديدية، وبالتالي احتفظ لنا بما يشكل حلقات اتصال نقية بما سبقه من العصور.

المـراجع

ديوان الحلاج، عبد الناصر أبوهرون دمشق – الحكمة ١٩٩٨م

الحـلاج، حقائق التفسير، مكتبة مدبولي- القاهرة

التفسير الصوفي العرفاني.

الأعمال الكاملة للحلاج، قاسم محمد عباس ٢٠٠٢م

كتاب أخبار الحلاج لعلي بن أنجب الساعي البغدادي عن مخطوطة يمنية قديمة.

الرومانسية في الشعر اليمني، د/ عبد الرحمن العمراني.

شعر الغناء الصنعاني، د.محمد عبده غانم.

الموسوعة الغنائية للشعر اليمني للقرن العشرين.

موسوعة لكسنزس العالمية.

الشبكة العنكبوتية.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الصوفية والصوف ٧
أولاً: مقـــدمة ٧
ثانياً: إشكالية اللغة الصوفية: ٢١

الفصل الثاني

الحلاج (الأسطورة) ٢٥
الحلاج في سطور ٢٥
نشأته : ٢٧
الظروف التي نشأ فيها : ٢٨
شخصيته وفكره : ٣٤
الخوارق أو الكرامات : ٣٥
فكر الحلاج وفلسفته : ٣٧

الفصل الثالث

أشعار الحلاج ٥١
١- قراءة جديدة في أشعار الحلاج: ٥١
٢-خصائص شعره: ٦٦
المادة والموضوع: ٦٦
ثانيًا: الأدوات الفنية : ٦٧
نصوص الحلاج وثنائية الأضداد والمقابلات ٦٨
أولًا: ترميم وإعادة هيكلة قصائد الحلاج ٦٨
ثانيًا: ثنائية الأضداد والمُقابِلات : ٦٩
١- جدلية اللفظ والمعنى : ٦٩
٢-العبارة والموقف: ٧٧
٣- التدين والتصوف: ٨٤

٤- الذات والوجود: ٩٨
٥- الوجْد، والوجود: ١٠٢
٦-السر والنجوى: ١٠٦
٧- الحنين والشجن: ١١٧
٨- الحب والابتلاء: ١٢٠
٩- العشق والفناء: ١٣٣
١٠- الحضور والغياب: ١٤٦
١١- السكر والصحو: ١٤٩
١٢- الحلول والاتحاد: ١٥٢
١٣- اللاهوت والناسوت: ١٥٧
١٤- التقديس والتنزيه: ١٥٩
١٥- المحنة والخلاص: ١٦٣
١٦- الكفر والإيمان: ١٦٣
١٧- الموت والحياة: ١٦٥
١٨- التوبة والرحمة: ١٧٠
أشهر مطالع القصائد الغنائية اليمنية المغنّاة ١٧٢

الفصل الرابع

الشعر الغنائي اليمني و شعر العصر العباسي الأول ١٩١
الشعرالغنائي في الشعر اليمني: ١٩١
جذور الأغنية التراثية اليمنية: ١٩٥
لمحة تأريخية عن فن الغناء اليمني: ١٩٥
اللحن أولاً..أم القصيدة: ٢٠٤
تلحين التفعيلة، وبحور الشعر: ٢٠٧
أولًا: البسيط: ٢٠٨
ثانيًا: السريع أو الرجز: ٢٠٩
ثالثًا السريع: ٢١٠
رابعًا: الرمَل: ٢١٠
خامسًا: الطويل: ٢١١

سادسًا: الرجز: ٢١٢
سابعًا: المتقارب: ٢١٢
ثامنًا: الوافر: ٢١٣
تاسعًا: الخفيف: ٢١٣
عاشرًا: المجتث: ٢١٣
أحدى عشر: الممتد: ٢١٤
إثنى عشر: المتدارك: ٢١٤
ثالث عشر: المستطيل: ٢١٥
رابع عشر: المطَّرد: ٢١٥
خامس عشر: المقتضب: ٢١٥
وجهة نظر في بحور الشعر ٢١٧
المـراجع ٢٢٧